السُّرُج

العدد الخامس
العدد الخامس جانفي 2019 م
الموافق لـ: جمادى الأولى1440هـ

فقرة
أَمَالِي الخَاطِرِ
يدبجها أبو المعالي الظاهري

تحتفل بمرور عام
على إنشائها

- ابن الاثير ثلاثة أعلام وليسوا واحدا
  طه بن الطيب بن المحجوب
- قراءة في كتاب «حياة الرافعي»
  نصيرة سعيد
- حاضرة تمقرة البجائية
  محمد بوعناني
- الأحدب
  سيد شعبان

فضيلة الشيخ الدكتور:
نورالدين الحميدي الإدريسي المغربي

“لا تقنع بالرتبة الوسطى
ولتطمح نفسك إلى النبوغ والشفوف”

تحتفل بمرور عام
على إنشائها

السراج

العدد الخامس جانفي 2019 م
الموافق لـ: جمادى الأولى1440هـ

فضيلة الشيخ الدكتور:
نورالدين الحميدي الإدريسي المغربي ص04

« لا تقنع بالرتبة الوسطى
ولتطمح نفسك إلى النبوغ والشفوف »

الفِهرِس

من التراث:

-حاضرة تمقرة البجائية ومعهدها العدلي محمد شافع بوعناني..... 13
-اعتناء أمراء وملوك المغربي بالحديث الشريف نورالدين الحميدي..... 19
-نادي الترقي - الإرث الثقافي المنسي- عامرغزير 22

بحوث و دراسات :

- (ابن الأثير) ثلاثة أعلام وليسوا واحداً طه بن الطيب بن المحجوب..... 26
-الجمال الروحي في الإسلام خالد برادة 28
-ابن الخطاب وابن عرضون ! اسمة حسين حامد 30
-إلا رسول الله مباحثة علمية عمربن أحمد ندا براهيم 33

قراءات:

-قراءة في كتاب -حياة الرافعي- نصيرة سعيد 39
-الرافعي كما قرأته هي - حنان صادق 42
- ابن عذارى المراكشي لمحمد علي دبور عرض: أبو الحسن الجمال 44
- العلمانية والكذب المباح منير المرود 46

نصوص:

-فكرت أن أرسم شعرا عزالدين لزعر 49
-أحوالهن في الحب نور الهدى مداح 50
-رمة من كثب !! محمد خويطي 52
-ما الحب عبد الرحمن برغش 53
- الأحدب سيد شعبان 54
- الضفدع المغرورعنتررمضاني 56
- من طرائف الاستاذ عبد المجيد آيت عبو 57

أمالي الخاطر أبو المعالي الظاهري ص58

رئيس التحرير
عنتررمضاني
نائب رئيس التحرير
عزالدين لزعر
هيئة التحرير
محمد كـــرزون
عيسى عزوق
عمرندا براهيم
هيئة المراقبة
جهيدة بن عيسى
شيماء العابد
فاطمة الزهراء بطوش

تصميم: عنتررمضاني

شروط النشر بالمجلة

أن يكون الموضوع ضمن أحد أركان المجلة
توخي الموضوعية في الطرح مع سلامة اللغة
تكون المقالات هادفة ولا تتجاوز خمس صفحات
والقصائد الشعرية من 7 أبيات إلى 30 بيت

إيميل المجلة
Esiradj.magazine@gmail.com

* * *

الافتتاحية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، والصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه والتابعين، أما بعد:

فقد كان من بغيتنا يوم أنشأنا هذه المجلة العام الماضي، وطرحت فكرتها مع الأحبة، أن تكون ملاذا لمحبي العربية، ومأرزا لعشاقها، تهوي إليها نفوسهم، يتمتعون فيها بصنوف الكتابات والمقالات، عساها تكون حصنا من حصون الضاد المنيع، يرفل فيها الحرف العربي ويزدان، ويلقى فيه المخلصون أطايب الكلم، وجميل العبارات، ما يعيد لهم نَفَسَ الروح العتيقة المتشبثة بأصالة هذه اللغة وفضلها ومآثرها، وها هي في حلة قشيبة، ووجه ناضر، وصورة بهية، ووجه حسن، بعد مرور عام من إنشائها وفي عدده الخامس الذي صدر بعد ظروف قاهرة ألمت بنا، ها هي ذي تهفو إلى قرائها الكرام ومتابعيها الأعزاء.

هذا وإن العمل لا يزال ساريا في العناية بهذا الصرح مهما كلفنا ذلك، والشكر موصول لكل من مد لنا يد العون من قريب أو من بعيد، خاصة ثلة المشاركين الأكارم الذين أمتعونا طوال هذا العام الذي انصرم بما تفضل الله به عليهم من مقالات وقصائد وبحوث وغيرها.

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله؛ فمن هذا المنبر الفخم نحيي كل من شارك معنا في جميع الأركان وتحمل معنا مغبة الطريق، ورافقنا في هذا الدرب من مصممين محررين ومشاركين، ويدنا ممدودة لكل من رام الإبداع في هذه المجلة العزيزة، أو يريد بث رسالة سامية وشريفة، هي رسالة الأدب في النهاية.

رئيس التحرير: عنتر رمضاني

حوار مع فضيلة الشيخ الدكتور:

نُورُالدِّين الحُمَيْدِي الإِدْرِيْسِيّ المَغْرِبِيُّ

حاوره / عمر ندا براهيم

ضيفنا لهذا العدد من مواليد 22/10/1988 بحي الألفة بالدار البيضاء، متحصل على شهادة بكالوريا في شعبة الآداب، وشهادة ليسانس(الإجازة) في شعبة الدراسات الإسلامية من جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء سنة 2011 م، ثم شهادة الماجستير في تخصص: (الاختلاف في العلوم الشرعية)، من جامعة ابن طفيل بالقنيطرة سنة 2013 م، ثم شهادة الدكتوراه من نفس الجامعة جامعة ابن طفيل بالقنيطرة. شغل منصب أستاذ مادة التربية الإسلامية بالسلك الثانوي بمدينة اليوسفية بالمغرب إلى يومنا هذا، وباحث ومساعد مدير تحرير مجلة التراث النبوي التي تُعنى بمخطوطات السنة النبوية وعلومها وما يتصل بها من دراسات، كما عين وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية في حكومة الشباب المغربية (منظمة غير حكومية). له مؤلفات عديدة في تحقيق التراث منها: صلاة العيدين للحافظ المحاملي مطبوع، وكتاب التذكرة لأبي عبد الله الحميدي مطبوع، ومختصر الأسماء النبوية لابن العشاب الدرعي مطبوع وغيرها.

مجلة السراج ترحب بحضرة الأستاذ المكرم الدكتور نور الدين الحميدي الإدريسي المغربي، ونسعد بالحوار معك وتسليط الأضواء على مسارك العلمي، فنقول وبالله التوفيق:

بادئ ذي بدء نقول شكراً لك على تلبية دعوتنا، ودمت ذخراً للإسلام والمسلمين.

- **أستاذ نور الدين الحميدي، الناظر في سيرتك العامرة ما شاء الله اللهم بارك، يرى أنك بذلت جهداً كبيراً وكلفةً في دراسة التراث المخطوط. فلو تكلمنا عن بداياتك واهتماماتك في هذا المجال؟**

بداية يشرفني أن أنزل ضيفاً برحاب هذه المجلة الأثيلة الوضيئة، وأشكركم على الدعوة راجياً حصول النفع والإفادة بما سأبثه من نجيث القول في الوِرْد والصَّدَر. وأما عن بدأتي في درب التراث وتحقيق المخطوط، فيمكنني أن أقول إنها كانت منذ عنايتي بطلب العلوم الشرعية وتفهمها، وذلك في الرابعة عشرة من عمري حين تخيرت دون أقراني شعبة الآداب الأصيل في مرحلة (الثانوي التأهيلي)، وهو اختيار كان -ولا يزال – مدعاة لنوع من التنقيص والحط، لرجحان كفة الشُّعَب العلمية على الأدبية، فما حصلته في هذه المرحلة من تعرف على العلوم الشرعية والأدبية واطلاع على رؤوس مسائلها ووقوف على مصادرها وأعلامها، أمكنني من تولج حمى التراث الخطي درساً وتحقيقاً بعد حين، ولما ظفرت بشهادة (الباكلوريا) سعيت للرحلة في طلب العلم مقتفياً سنن العلماء، ومن فرط حبي للحديث وأهله حرصت أن أنال شرف مثافنة الشيخ العلامة بوخبزة الحسني شفاه - الله تعالى - بتطوان، فأعملت المطي إليه (سنة:2007 م) ولمَّا بلغت العشرين بعد.

فكانت ملازمة الشيخ ومجالسته مفتاحاً لمغاليق أفنية التراث المخطوط الفسيحة، وأورثتني حب التراث المغربي الأندلسي، خاصة علم الحديث ورجاله، ثم حثثت السير في هذا الدرب الطويل، كتب الله لي فيه حسن العاقبة.

- **مـاذا عـن إقامتـك بتطـوان ؟ ومتـى كان أول لقياكم بالعلامة المحـدث محمد الأمين بوخبزة التطوانـي حفظه الله ؟ وما هي الأثار الإيجابية التي تركها فـي نفسك تجاه تحقيق التراث ؟**

كان استقراري بتطوان قصد الأخذ عن الشيخ العلامة بوخبزة شفاه الله وفسح في أجله، وتوسلت إلى ذلك بالتسجيل في كلية أصول الدين حتى أظفر بالحسنيين، إتمام الدراسة الجامعية والاستفادة من الشيخ، ولكن حينها كانت الكلية المذكورة على حال من الركود والضعف دفعني للانفصال عنها في منتصف السنة الدراسية، لكنني آثرت المكث بتطوان حرصاً على الانتفاع من الشيخ، وكان أول لقائي بالشيخ في مجالسه التفسيرية الوعظية بمسجد (سيدي طلحة) بحي (باريو)، وهو مسجد قريب من منزل الشيخ.

ثم بعد شهرين ونيف من مقدمي لتطوان طمحت نفسي للاستفادة من الشيخ على وجه لا يشاركني فيه أحد، فتوجهت للشيخ إثر درسه التفسيري وأخبرته بقصتي وأن غرضي من المقام بتطوان والدراسة بكلية أصول الدين هو لُقِيُّك والأخذ عنك والاستفادة منك، ولم آت لتطوان إلا من أجلك، فبعد إلحاح على الشيخ أذن لي بزيارته في منزله في العاشرة صباحاً من يوم الجمعة. فعكفت أهيئ أسئلتي، وأغلبها واشجُ الصلة بالكتب والأعلام والحديث والتاريخ المغربي.

فبعد أن استقبلني الشيخ وفاتحته القول وكاشفته بأَسْولَتي، ومضت نحو ساعة من طيب الكلم وحلو المقال، أخذ الشيخ يسألني عن اسمي وأصلي وفصلي ومقصدي من رحلتي، وقال: مرحباً بك، ويسعدني أن أستقبلك كل يوم جمعة صباحاً.

فخرجت من منزله، ولا تسعني أرض ولا تظلني سماء من شدة الفرح وغلبة الغبطة بما ظفرت به من الشيخ، فصرت أتردد عليه كل جمعة، أفضي إليه بعُجَرِي وبجري وينيلني من وسيع اطلاعه وجليل علمه ما رغبني في الدنو من سامي رتبته، ومجالسةُ الشيخ تسلمك إلى العناية بعلوم شتى حاز الشيخ أعنتها، من تاريخ وأدب وشعر وحديث وتحقيق وغيرها، وقد دونت مجالسي معه في مجموع لطيف وسمته بـ«وَشي البِزَّة بدرر من مجالس الشيخ بوخبزة» لعلي أنشره لاحقاً.

وأنبه على أجل ما استفدته من الشيخ في ترادي عليه، وهو أن إدمان القراءة وكثرة النظر في الكتب، تورث صاحبها المعرفة الواسعة والاطلاع الكبير، فكثرة المقروء شرط أساس للمحقق خاصة في مجال تحقيقه واعتنائه، وإن عري المحقق عن سعة الاطلاع على المؤلفات والكتب في فنه، أوقع نفسه في الأوهام البينة والقصور الظاهر، وهذا صراحة حثني على ملازمة القراءة والإيغال فيها.

ومما كان الشيخ يحرص على التنبيه عليه والإفادة به، ضبط الأسماء المشكلة من النِّسَب وأسماء الأعلام والبلدان، مثل: ابن بَشْكُوال والكُشْمِيهَني والمَقَّري، فإني كنت أضبطها بالخطأ، فكان الشيخ يصحح ضبطي وينبهني للتحري في هذا.

فمن هنا بدأت رحلتي مع التراث والمخطوط.

- **كيف بدأت قصة نجاحك فـي عالم المخطوطات وفـي البحث العلمي عموماً ؟**

بداية نجاحي في عالم المخطوطات عندما أنهيت تحقيق كتاب (صلاة العيدين) للحافظ المحاملي (ت:330 هـ)، سنة 2011 م، وهو بحثي للإجازة بإشراف د. عبد اللطيف الجيلاني حفظه الله تعالى، وهذا الكتاب قدمته لجمعية دار البر بالإمارات للطبع سنة:2012 م، فلم يصدر إلا بعد عامين في 2014 م، ومن فائدة هذا التأخر أنني أنهيت مجموعة من المخطوطات تقارب زمن صدورها مع صدور كتاب المحاملي، حيث صدر في خلال ثلاثة أشهر، كتاب المحاملي و(مختصر المستوفى) لابن العشاب عن [دار التوحيد]، و(الاستدراك على الجمع بين الصحيحين) للضياء المقدسي عن [وزارة الأوقاف الكويتية]، ومن هنا كانت البداية ولله الحمد أولاً وآخراً.

- **ما هو أول مخطـوط قرأتموه أو حققتموه أو كتبتموه ؟**

أول مخطوط حققته، كان بخط شيخنا بوخبزة حفظه الله تعالى سنة: 2008 م، - هذا مع توسع في إطلاق اسم المخطوط عليه -، وهو جواب للحافظ أحمد ابن الصديق حول (حديث زنا المستكرهة)، فنسخته وقابلته وعلقت

عليه، وذيلته بمناقشة تضعيف العلامة أحمد ابن الصديق للحديث، وبينت أن الأرجح تصحيح الحديث، وقدمت التحقيق والرد لشيخنا بوخبزة في مجالسي الأخيرة معه، فقال لي مازحا: «هذا بحث تخرجك من مجالسي، على عادة الطلبة في الكلية».

فقلت له: نعم شيخنا، وأرجو أن يكون جديراً بالنظر فيه. ثم سألته عن عملي في آخر مجلس لي معه - فيما أظن -، فأثنى على صنيعي في قراءة النص والتعليق عليه ومناقشة صاحبه خيراً وشجعني على المضي قدماً في طريق البحث والتنقيب.

وبالمناسبة فهذا التحقيق والرد منشوران على شبكة (الأنترنيت).

- **هل من مخطوط أثر فيكم بعينه أو كانت لكم معه قصة ؟**

المحقق المخلص في تحقيقه، والمقبل عليه إقبال المحب الواله، يكون ارتباطه بالكتاب المحقَّق ارتباطاً وثيقاً، فيبذل له من صِرْف الحب ومحض التحفي كما يبذل له من ثمين وقته وقوته وتعبه وسهره، وهذا حالي مع كل ما حففته بالعناية من المخطوطات، ولكن للوفاء بشرط السؤال، فإني أعين مخطوطاً كان له من الاحتفاء قدر زائد ومن بالغ التأثير مزية ظاهرة، وهو كتاب (طل الغمامة وطوق الإمامة في فضائل الصحابة وأمهات المؤمنين وآل البيت رضي الله عنهم) للحافظ الأديب ابن أبي الخصال القرطبي (ت:540هـ)، وهو رسالتي للماستر أنهيته سنة: 2013م، وهو معروض للطبع على بعض الجهات.

هذا الكتاب أرجح أنه أجل ما أُلِف في فضائل الصحابة الكرام في المغرب الإسلامي، صاحبه جمع بين المهيع الحديثي والأدبي في رصف مناقب الصحابة، ونَفَسه الأدبي عالي النمط بعيد الشأو، حلَّى الصحابة ووشَّاهم بما تعجز عنه الألسن وتقصر عنه الأقلام، وإيراده لقصة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتفجعه لذلك، لا يتأتى قراءته إلا والدمع يفيض من العين الجَمود، لنعيه البليغ المُمِضّ، وعبارته الجزلة المُثْكِلَة.

فتجربتي مع هذا الكتاب وكاتبه متفردة وبالغة التأثير، هيأ الله نشره.

- **حدثنا عن الكتب التي حرصت على كتابتها والمشاركة بها في مختلف المحافل الوطنية والدولية ؟**

إن كان المقصود بالمحافل الوطنية والدولية، معارض الكتاب، فإن أجل الكتب التي حققت وأحظيتها بالعناية، كتاب (صلاة العيدين) للمحاملي، و(واسطة العقد الثمين في أسانيد الأمير أبي عنان المريني) للحافظ ابن مرزوق التلمساني الجد، و(أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم) لأبي بكر الطرطوشي، و(ابن مسدي الغرناطي حياته وآثاره)، و(اللواء المعلم بمواطن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) للقطب الخيضري، وهناك كتب غيرها تليها في الرتبة، والحمد لله فما من دورة من دورات المعارض الدولية سواء معرض الدار البيضاء أو معارض الدول العربية، إلا وأحرص على أن يكون لي فيها جديد وإضافة تغني المكتبة العربية والتراثية. نفع الله بذلك كله.

- **هل يمكن أن تسمي لنا بعض المشايخ أو الأساتذة الذين عندهم دراية واطلاع واسع بالمخطوطات على الصعيد الوطني والدولي ؟**

مجال التراث وتحقيقه، مجال فسيح وإحراز السبق والفرادة فيه متعذر، إن لم تَمُد بمتاتِ إلى ذوي السابقة والقِدم فيه، وممن أراه أهلاً للاعتماد عليه في السؤال والتوجيه في هذه الحلبة، وفي المغرب د. عبد اللطيف الجيلاني ود. عبد العزيز الساوري وقبلهما الشيخ العلامة بوخبزة حفظه الله وشفاه، لكن السقم والهرم يحولان دون الانتفاع بعلمه حفظه الله تعالى، وأنا أذكر هؤلاء على سبيل التمثيل لا الحصر، وهم جمعوا بين معرفة التحقيق وسعة الاطلاع على المخطوط ومعرفة نسخه، والنادر منه والمطبوع، بينما هناك من أحرز علم التحقيق، لكن غير مطلع على المخطوطات ونوادرها ونسخها ولواحق ذلك.

وأما على الصعيد الدولي، فالباب واسع، ولكن حسب التخصص، فكل تخصص تجد فيه من الأعلام من برز في معرفة مخطوطاته ونسخه ونوادره، والذي أعرف من الأفاضل البارزين في مخطوطات الحديث وعلومه والاطلاع عليها، مع الحرص على الإفادة والبذل، د. محمد التركي ود. محمد السريع والشيخ الأستاذ محمود النحال، وفي التراث

الحنبلي الشيخ مصطفى القباني أبو جنة.

وأما الأعلام الكبار فقد يتعذر الوصول إليهم والتواصل معهم، وهم من الشهرة بحيث تغني عن ذكرهم، لكن الغرض إعلام الباحثين والدارسين بمن يمكن التواصل معه وتحصيل إفادته ونفعه، وكل من عرف بسلوك شعب من شعاب التراث المتوعرة وأسال فيه الحبر تحقيقاً وتأليفاً، فهو مظنة لإفادة المحققين البادئين في مجاله.

- **ما جديد التأليف عندكم ؟**

بعد فضل الله وتوفيقه، تهيأ لي إنجاز دراسة موسعة عن حياة الحافظ المقرئ ابن أبي الأحوص الغرناطي (ت:679 هـ)، نشرت موجزاً لها بالعدد 2 من مجلة الزقاق المغربية، وهذه الدراسة تتجاوز مائتي صفحة جامعة لبَدد حياة هذا العَلَم الجليل وآثاره.

وأنهيت - ولله الحمد - العمل على مجموع حديثي للإمام أبي بكر ابن العربي المعافري، ويتضمن (جزءاً في حديث «ليس من البر الصيام في السفر»، وجزءاً في «حديث عقبة بن عامر بعلله ووجوهه»، و«مسلسلاته»، وجزءاً في «أحاديث المصافحة»، و«مجلس الروضة للزينبي من رواية ابن العربي»، وهذا المجموع جاوز خمسمائة صفحة، وهو قيد الطبع لدى بعض الجهات العلمية.

ومما شارف على الصدور كتاب (الأربعين السلطانية للأمير أبي الحسن المريني) ألفها له الحافظ ابن مرزوق التلمساني الجد (ت781 هـ)، وهي أربعون حديثاً مسندة حا فلة ، وستصدر قريباً عن دار السلام بالقاهرة إن شاء الله تعالى.

وهناك غيرها من التحقيقات والأعمال تحت الطبع لدى بعض الجهات، وبعضها قارب التمام بإذن الله تعالى.

- **ما هي المخطوطات التي طبعت وترون بحكم تجربتكم الواسعة أنها بحاجة إلى إعادة طبع ؟**

على ضوء التصوير الرقمي المعتمد والشائع الآن، والذي يُمَكن من صورة للمخطوط ملونة وعالية الجودة، فإن كثيراً من الكتب التي اعتمد في تصويرها على (الميكروفيلم) أو التصوير أبيض وأسود وغيره يعوزها إعادة التحقيق، باعتماد مصورات حديثة ملونة عالية الدقة، ومن جرب التحقيق على الضربين علم الفرق بينهما، ويضاف إلى هذا ما تهيأ الوقوف عليه من خزائن المخطوطات ومكتباتها مما كان محجوباً سابقا، فهي تشتمل على نسخ تحتل من النفاسة والصحة مكاناً يضطرنا إلى إعادة النظر فيما تقدم تحقيقه، وظُنَّ أنه قد فرغ منه تحقيقاً وضبطاً، وكلامي لا يحمل على مطلق المخطوطات، بل على أمهات الكتب وأصولها، مما يعتمد عليه ويرجع إليه في بابه، مثل كتاب (المعيار المعرب) وكتاب (المعونة) و(التلقين) وهكذا في كل فن وباب، ينبغي إعادة النظر فيما سبق تحقيقه على ضوء ما جدَّ من نسخ، وصنيع أستاذنا القدير الدكتور بشار عواد معروف في الخزانة الأندلسية التاريخية، مثال على هذا فهو أعاد تحقيق هذه الكتب التي هي أصول في تاريخ الأندلس ورجاله، وهو يُعْمِل ذلك في المدونات الفقهية الأصول مثل (التمهيد) و(المحلى)، وهذا ينبغي أن ينهض لمثله الأفراد والمؤسسات في جميع العلوم.

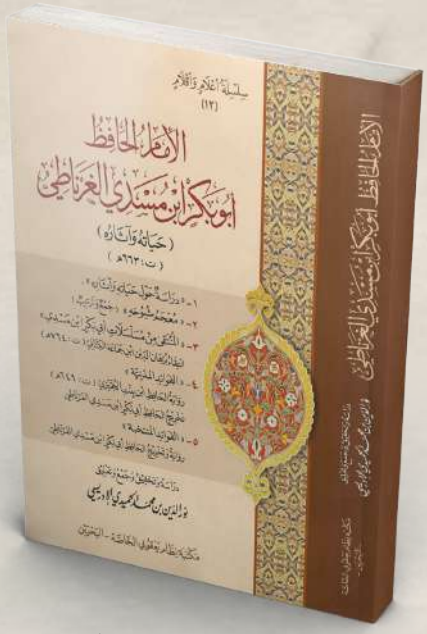

- **ماذا يمثل لكم كل من الشيخ محمد الأمين بوخبزة، وأبو إسحاق الحويني، وبشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط رحمه الله، وعامر بن حسن صبري ؟**

الشيخ العلامة الأديب النسيب الحسيب محمد بوخبزة العمراني حفظه الله ومد في عمره، أتجوز في العبارة فأقول

: « معدن أصيل عتيق بين دراهم مغشوشة، وماذا عساي أن أقول في رجل أفرده جبال من أقرانه بالتحلية والترجمة والتعريف، من أمثال العلامة محمد المنوني ومحمد المنتصر الريسوني والشاعر عبد الواحد أخريف وغيرهم رحمهم الله تعالى، فهو من طينة انقرضت، وله الفضل بعد الله تعالى فيما أنا فيه الآن».

والعلامة المحدث **أبو إسحاق الحويني** حفظه الله وشفاه، شيخي في صنعة التخريج والتصرف في قواعده جرحاً وتعديلاً وتصحيحاً وتضعيفاً، فقد أفدت من كتابه (جنة المرتاب) غاية الإفادة، ولم أحظ بلقائه وعسى ذلك يكون قريباً.

وأما العلامة الدكتور **بشار عواد معروف** حفظه الله وفسح في مدته، فآية الله في الإقبال على التراث والعناية به درساً وتحقيقاً وتلقيناً، ومعلمة (التكملة) للمنذري شاهدة بنبوغ مكين عتيق، وأما ما أَتَى بعد ذلك فأربى على الحد، وقصر عن العد، وهو مدرسة مستقلة الذات كاملة الأدوات في بابة التحقيق.

وأما العلامة المحدث **شعيب الأرناؤوط** رحمه الله وأكرم مثواه، فأمة وحده في علمه وجهوده ومساعيه، وما خلفه بعد وفاته شاهد بذلك، فتلاميذه لهم أيادي بيضاء في التحقيق والتأليف، تنبئ بأن الرجل كان مدرسة انضوت تحتها تفاريق العلوم والفضائل، وكانت صلتي بالشيخ رحمه الله عن طريق تلميذه ولزيمه أخي الأود د. محمد الجوراني صاحب (مركز ذخائر)، كنت أحمله سلامي للشيخ فيبلغني الرد الجميل والتحية العطرة، خاصة بعد تقديمه لتحقيقي (واسطة العقد) لابن مرزوق التلمساني، وقد كتبت كلمة ومرثية في حقه رحمه الله وأعلى منزلته ضمن (مجموع مفرد عنه)، يعزم د. محمد الجوراني على طبعه.

-وأما شيخي الأجل وأستاذي الأبر فضيلة الدكتور سيدي عامر صبري التميمي العراقي حفظه الله وبارك في عمره، فصلتي بتحقيقاته كانت منذ حوالي عشر سنوات عندما اقتنيت بعض المجاميع والأجزاء الحديثية التي بتحقيقه، ثم ظفرت بجملة من تحقيقاته مصورة بصيغة (pdf)، إلى أن يأذن الله تعالى بالتواصل المباشر معه عبر (الواتساب) وذاك حين صدور تحقيقي لكتاب (صلاة العيدين) للمحاملي، فقد أخبرني باطلاعه على تحقيقي وأثنى عليه ثناءً عاطراً، وكنت قبلها أضمر له من التقدير والإجلال ما ضاعف من ذلك عندي، ثم لما أنهيت تحقيق (واسطة العقد) حرصت أن يتطرز الكتاب بتقديم رجل مثله أمضى زهرة شبابه في إحياء كتب السنة والتنقيب عن التراث الحديثي المخبوء، وأظن أنني أول باحث يقدم له، فإني لم أقف على تقديمه لكتاب قبل كتابي، وهو لا يفتأ يشرفني بما جد من تحقيقاته والتي تصدر عن وزارة الأوقاف البحرينية، وهو أحد مفاريد محققي التراث الحديثي بالعالم في عصرنا.

- **جمعت كتاباً حافلاً حول حياة الحافظ الكبير الغرناطي رحمه الله، بعنوان:(الإمام الحافظ أبو بكر ابن مسدي الغرناطي حياته وآثاره)، فما هو الجديد الذي طرحته فيه عن الإمام ابن مسدي رحمه الله ؟**

يرجع الفضل بعد الله تعالى في ابتدائه وإنهائه لأستاذي د. عبد اللطيف الجيلاني حفظه الله تعالى، والجِدة تكتنف موضوع الكتاب كاملاً، لأن إفراد كتاب عن ابن مسدي درساً لحياته وجمعاً لآثاره، هذا لم يسبق إليه ولم يُحَم حواليه، ومكامن الجدة في الكتاب يمكن حصرها، في التالي: التعريف بحياته وجمع شَعَث أخباره وأحواله ورصف أسماء آثاره إلى غير ذلك مما لا تتم الترجمة إلا به، ثم جمع ما وصلنا من مشيخته، مما يبدي حفالتها وضخامتها، فهي أضخم مشيخة في التاريخ الإسلامي، اشتملت على أربعة آلاف شيخ، ثم إبداء رسوخ قدمه في علم الحديث تخريجاً وتعليلاً، حيث انتصب لتخريج المسلسلات وتكلم على رجالها وكشف عن عللها، وخرَّج فوائدَ لشيخه ابنِ بنت الجُمَّيْزِي فأسند، ونبه على العالي والنازل، واستدرك على «الصحيحين» وانتقد عليهما، وبين مراتب الرجال، وهذه الجوانب جميعها كانت محتجبة عنا.

وأنبه على أنني وقفت على زوائد ولواحق لها متات وثيق بابن مسدي وتراثه، سأدرجها في طبعة لاحقة للكتاب بإذن الله تعالى.

- **طال الحافظ ابن مسدي تهم مزيفة كالتشيع، ودعاوي أخرى جائرة تختلف باختلاف**

الطاعنين فيه، فحبذا لو تدلي لنا بكلمة نوجهها لهؤلاء حتى يعرفوا قدر هذا العلم الشامخ وحتى لا يقعوا مرة أخرى في عرضه بالباطل ؟

الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري الأندلسي الأجداد، والمصري المولد والوفاة، بين في أجوبته على أسئلة ابن أيبك الدمياطي [ط: وزارة الأوقاف المغربية] أن الحافظ ابن مسدي جلب لنفسه العداوات، لأنه تعرض في مشيخته لمشاهير أعلام المشرق بنوع تنقيص ولمز، ومن أجلِّ علماء المشرق الذين لمزهم العز ابن عبد السلام سلطان العلماء والحافظ زكي الدين المنذري حافظ مصر ومؤرخها في وقته وابن المفضل المقدسي حافظ الإسكندرية وغيرهم، فلما وقف تلاميذ هؤلاء العلماء على ما قاله ابنُ مسدي في حقهم - وهو رأيه قد يوافق ويخالف عليه، مع أن تنقصيه لهم لم يكن صريحاً وإنما تعريضاً وإيماءً -، فتألبوا ضده، وأجمعوا أمرهم على التضييق عليه والطعن فيه، وتطريق التهمة في مروياته، فأول ذلك أنه كان مستقراً بالفيوم من أرض مصر ينشر العلم ويبثه، لكن ما ناله من تلاميذ المنذري وغيره من أذى وضر، اضطره للرحلة إلى المدينة، فنزل بها مجاوراً، ثم لم يلبث أن رحل إلى مكة مجاوراً، فتصيد خصومه مسألة مخالطته للزيدية ومصاحبته لهم، لكي يبالغوا في الحمل عليه والقدح فيه، ولعل ابن مسدي لم يكن ممن يغض الطرف عن خصومه، فكان يواجه تحاملهم عليه بإغلاظ القول وذرابة اللسان، وقد قُتل غدراً رحمه الله ورضي عنه وقُطع لسانه، عامل الله قاتليه بما يستحقون.

ولا أطيل في الرد على مسألة تشيعه وما يتصل بها، ففي الكتاب تفصيل ذلك، فهو أفرد كتاباً عن فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وتواليفه وآثاره بقيت مأمًّا للعلماء والحفاظ بالانتساخ والرواية والتحصيل، فهذه مشيخته الحافلة أربعة من جلة الأعلام تعانوا اختصارها، والمقام لا يتسع لبسط القول، ولكني أختم بأن ابن مسدي رحمه الله تعالى يخطئ ويصيب كغيره من العلماء.

كيف قدم لكم الدكتور بشار عواد معروف كتابكم حول الحافظ الكبير ابن مسدي ؟

الدكتور **بشار** حفظه الله وصان مهجته، حقق قديماً نسخة من (الموطأ) وهي فرع عن نسخة الحافظ ابن مسدي الغرناطي وصدرت سنة: 1996 م، فهذه المناسبة اللطيفة اقتضت حرصي على أن يقدم لكتابي عن (ابن مسدي)، والأبين من هذا أن الدكتور بشار في مكنته واقتداره وشهرته

ممن تتزين بأسمائهم طرة الكتاب، فكنت اتصلت به هاتفياً لكي أعرض عليه الموضوع، فلما حدثته وشرحت له الأمر، اعتذر بكثرة الأشغال وتزاحم المطالب، وقال لي: أمهلني أربعة أشهر، لكنني صُرفت عن إتمام كتاب ابن مسدي، فعاودت التواصل معه بعد سنة على (الواتساب) وأخبرته بالموضوع، فرحَّب وسهَّل حفظه الله تعالى، فأرسلت له نص الكتاب مصفوفاً، ثم أرسل لي التقديم بعد ثلاث أشهر أو أزيد، وتواصلي مع فضيلة د. بشار مستمر في أمور شتى ومناسبات عدة، ومن تواضعه حفظه الله تعالى أنه لا يخاطبني إلا بالسيد العالم.

- **تعرضت للكثير من الأعلام التاريخية وتناولتها بالدراسة والبحث والتحليل، فما هي الشخصية التي تركت أثراً عميقاً في تكوين شخصيتك العلمية دون غيرها ؟**

أول عَلَمٍ أثَّر فيَّ بعلمه وشخصيته وسيرته، الإمام ابن حزم القرطبي (ت:456 هـ)، فهذا الرجل عُنيت بتراثه وحياته وروادفهما دهراً، وقد أفردت دراسة عنه شارفت على الكمال، وأكسبني هذا الاعتناء الحرص على الاستقلال في البحث وعدم الركون إلى أحد، وألا أسلم بما يقرره غيري من أحكام، وعدم الاكتفاء بأبحاث غيري، وهذا وجدت حسن مغبته وجميل عاقبته، فإني نظرت في بعض الأبحاث وظننت أصحابها وفَّوْا بالمقصود، حتى إذا شرعت في تتبع الموضوع وتقَرّيه ألفيت نقصاً وقصوراً، واهتديت إلى ما لم يهتدوا إليه، وتيقنت أن الركون لجهد الأغيار غرر وضرر، فالباحث الجاد المبدع، قِوامُه خَصلتان ؛ النصفة وعدم التسليم. وهذا لا يعني الكمال لما يتوصل إليه، ولكن يبوئه مرقبة الإجادة والإتقان.

وأثني بابن أبي الخصال القرطبي (ت:540 هـ)، فهذا الرجل عاش حزيناً ومات حزيناً، وترادفت عليه الأحزان، وتعاورته المحن والأشجان، وقد فُجع رحمه الله في ابنه وفي أخيه، فرثاهما، وكانت لعنايتي بكتابه (طل الغمامة) وقصيدته (معراج المناقب) ودراسة حياته، تأثير على تكويني ومزيد اطلاع على ركن خفي من تراثنا الأندلسي القصي.

- **نشرت العديد من الأبحاث والدراسات خارج الديار المغربية، فما السر في ذلك ؟ وما هي أبرز القضايا التي تناولتها أعمالك ؟**

مما حرصت عليه في مساري العلمي، أن أنتهز جلَّ فراغي ووقتي – في الحل والترحال – في التحقيق والفَتْش، وهذا مكنني من احتجان جملة من الدراسات والتحقيقات، وأخذت على نفسي مسلكاً أنهجه في نشر أبحاثي ودراساتي وهو تنويع آفاق النشر والتفنن في جهات الطبع، وألا أكون حبيس جهة واحدة، والحمد لله وفقت في سلوك هذا النهج، فلي أزيد من عشرة بحوث علمية محكمة بين تحقيق ودراسة بمجلات علمية رائدة، كمجلة (**عالم الكتب – الرياض**) و(**معهد المخطوطات – القاهرة**) و(**آفاق المعرفة والتراث – دبي**) و(**مجلة مرآة التراث- الرباط**) و(**مجلة قطر الندى – مركز نجيبويه**) وغيرها، وأما التحقيقات المطبوعة في المؤسسات العلمية ودور النشر؛ **فوزارة الأوقاف الكويتية ومؤسسة الملك فيصل ومركز جمعية دار البر ومركز ذخائر ودار التوحيد ودار البشائر الإسلامية ودار أروقة ودار السلام** وغيرها.

وتمحورت جل تحقيقاتي حول التراث الحديثي بالمغرب والأندلس، وأغلبه مما لم ينشرولم يحقق من قبل، وبعضه مما منَّ الله تعالى بالكشف عنه والتعريف به، وتنوعت أبحاثي في المجلات المحكمة بين دراسات حول الأعلام الأندلسيين - المحدثين خاصة -، وتحقيق الرسائل اللطاف في علم الحديث، وأسأل الله تعالى أن يبارك فيما مضى ويمن بالعون والتيسير في الآتي.

- **لو تحدثنا بعجالة مختصرة عن جملة من العقبات والمصاعب التي واجهت الحميدي أثناء بحوثه العلمية في التراث عموماً ؟**

أغلب الصعوبات التي اعترضتني في درب تحقيق التراث، لا تختلف عما يواجهه أغلب الباحثين والمحققين، ولعل من أبرزها تصوير بعض المخطوطات، ثم بعد إنهاء التحقيق قد يواجهك مشكل الطبع، وهنا ينازع المحقق مشكل الحقوق والحيف الذي يطاله من دور النشر، ومما يضيق به صدر المحقق في هذا الميدان، ما يغلب على عدد ليس بالقليل من المنتسبين إليه من الشح والضن والاحتكار، فتجد من يدعي التحقيق يسعى إلى تحصيل المخطوطات والنوادر ويحتال في ذلك، وإذا سُئل إتاحتها امتنع ودلس،

ولكنك لن تعدم بقية من أهل الفضل والبذل.

ومن أدمن القرع وكرر المحاولة، فسيلج من باب مُشْرعة وينهل من عين سَحَّةٍ لا تجف.

- **ماذا تأمل أن تحقق فـي مسيرتك البحثية ؟**

أظنني لا زلت في بداية المشوار، وأن الدرب ممتد المجال، منفسح الأطراف، وأتوق إلى تأسيس مركز علمي مستقل، ينهض بأعباء تحقيق تراثنا المغربي الحديثي وما يندرج فيه، وأن يكون حاضنا لخيرة الباحثين والدارسين، ومفيداً للمتخصصين والمحققين، ومرجعاً شاملاً في التراث الحديثي والسِيرِي - نسبة للسيرة النبوية - بالمغرب الإسلامي، إذ هذا الباب يلحقه من النقص والتقصير ما يدعو لتداركه وسِداده، فالله المسؤول أن يُسَنِّيَ الأمل، ويمد في الأجل.

- **كلمة أخيرة من الأستاذ الحميدي إلى مجلة السراج وقرائها ؟**

أجدد شكري لمجلة «السراج» والقائمين عليها، لما أولوه من العناية والترحيب، متمنياً لوهج السراج مزيد لمعان وتوالي ارتقاء، حتى تصير صرحاً يأوي إليه شداة المعرفة وحماة العربية، وتكون بما اعتنت من العلم والأدب وأعلامهما مَذَبًّا يقي عن حسن اللغة العربية وجمالها شَيْن الحاقدين وعيب المبغضين، فهذه المجلة المباركة مظنة لبعد الصيت وجلال الرتبة.

وألتمس العذر من القراء الكرام إن أطلت القول، وخضت بهم في مضايق هم في غنى عنها، وأرجو أن يتخيروا محاسنه ويغضوا عن مساوئه، فالنفس غلابة والقلم يشوبه الزيغ، وأنصح السادة القراء قبل الكف بأن يجعلوا طلب الشفوف والبروز في مجال اعتنائهم من طلب علم وتدريس ودعوة وتأليف وتحقيق وغيرها، غَرَضاً مقصوداً وغاية مطلوبة، فلا تقنع بالرتبة الوسطى، ولتطمح نفسك إلى النبوغ والشفوف في تخصصك، فهذا مجلب لعموم النفع وبالغ الأثر فيمن يحيط بك في مجالك. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين.

يتبع فـي العدد السادس مع الأستاذ الحميدي بوجه مع الجنس الأدبي

هنيئا لكم مجلة «السراج» تحتفل بمرور عام على إنشائها

من التراث

حاضرة تمقرة البجائية ومعهدها العدلي

الدور الجهادي والتعليمي والديني

من خلال مذكرات الشيخ العلامة الشيخ محمد الطاهر آيت علجت المقراوي(رحلة قرن)

محمد شافع بوعناني -الجزائر-

يرجع تاريخ حاضرة **تمقرة البجائية** إلى القرن التاسع الهجري كمحطة هامة في بروزها علميا ودينيا من خلال تأسيس المعهد العيدلي أو زاوية مؤسسها الشيخ **أبو زكريا يحي العيدلي (ت.881/1474م)** الذي بعث الريفي البجائي ليسهم في النهضة الثقافية والدينية بعد الغزو الاسباني لبجاية مع مطلع القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي. وكان التعليم القرآني أهم مجالات التأثير للمعهد من خلال استقطابه لمشايخ مشهورين للتدريس والإهتمام بالتعليم العربي من أمثال هؤلاء الشيخ البرنسي قديما وبعد الإستقلال استقطاب البعثات من أساتذة العراق وسوريا ومصر خاصة أيام الوزير المرحوم **مولود قاسم نايت بلقاسم** خريج هذا المعهد وتلميذ شيخ المعهد الشيخ **محمد الطاهر أيت علجت** كأنموذج لأعلام حاضرة تمقرة وكان الشيخ محمد الطاهر مجدد المعهد العدلي و مهندس خطة ومناهج التعليم فيه ولا زال القائم به ليس كرجل دين و إصلاح بل كرجل فقيه في الأدب واللغة من خلال جهوده للنهوض باللغة العربية و علومها خاصة في الشروح والتقريضات لأهم كتب اللغة المعتمدة في البرنامج التعليمي للمعهد العيدلي من أن أحياه عام **1937م** ، وأصبح مرجعا للمتخصصين الأكاديميين من أمثال تلميذه الشيخ الدكتور المرحوم محمد الشريف قاهروالشيخ أبوعبد السلام أولفقي والدكتور ميله الطاهر والشيخ أحمد إقروفه و الشيخ **محمد الشريف** إقروفه ..وغيرهم وهؤلاء كلهم من أعلام تمقرة ، وكرجل مجاهد ثوري وسياسي خلال الثورة التحريرية، وكرجل بناء خلال فترة الإستقلال.وسنحاول إماطة اللثام عن هذه الحاضرة في الريف البجائي من خلال معهدها العدلي وإسهامها في تطوير اللغة العربية وعلومها ومن ثم الحفاظ على الموروث الديني والفقه المالكي بمرجعيته الوسطية وكذلك الدور الجهادي خلال الثورة التحريرية ومسار الحركة الوطنية وبعد الإستقلال في مسار البناء الوطني؟.

-1 حاضرة **تمقرة** ضمن الفضاء البجائي (جغرافيا و حضاريا):

بني عيذل(آث عيذل) منطقة جغرافية ضمن منطقة القبائل الواسعة والتي تعرف بقسميها الغربي (القبائل الغربية) و الشرقي (القبائل الشرقية) ، فهي تقع في القسم الجنوبي لمنطقة القبائل إلى الجنوب من سلسلة جبال جرجرة أي على إمتداد جبال البيبان (البرج ومجانة) جنوبا، ويقع بينها وبين جرجرة حوض الصومام (الساحل) ووادي بني حالة وبوسلام الذي ينتهي إلى وادي الصومام في أقبو(منطقة بومسعود وثاسفارث المتاخمة لعرش بني عباس بين بلديتي **بوحمزة(صدوق)** و **أيت رزين (إغيل علي)**.كما يطلق على المنطقة كلها بنوعيذل نسبة إلى الشيخ أبو زكريا يحي العيدلي لعدله بين الناس.و يحد المنطقة

بالإضافة إلى عرش بني عيذل : (**بني معوش**) و (**بني وثيلان**) و (**بني حافظ**) و(**بني يعلى**) و(**بني جعفر**) و (**بني لعلام**) و (**بني عباس**)من الشمال والشرق والجنوب الغرب على التوالي .وتتميز المنطقة بحصانتها وتضاريسها الوعرة من جبال وتلال أعلى قمة فيها في جبال **آمازا (1050م)** و جبل **إولان (900م)**.أما حاليا فتمقرة هي إحدى بلديات دائرة آقبو الأربعة التي تبعد عن مقرها ب(**24.5كلم**) و عن مقر ولاية بجاية بأكثر من (**76كلم**)معروفة بزاويتها العامرة وتراث مؤسسها الذي صنف ضمن التراث الوطني منذ عام(**2010** م) كما تعرف ب(**حمام سيدي يحي العيدلي**) و (**سد تيشي حاف**) ومشروع (**معهد العيدلي للدراسات القرآنية**) الذي قرب انتهاء أشغاله ليلعب دوره التعليمي مستقبلا.

أما تاريخيا فتمقرة حاضرة من حواضر بجاية المنسية باعتبارها تقع على ممر القوافل التجارية بن الشمال والجنوب و بين القبائل الكبرى والقبائل الصغرى.هذا منذ العصر الوسيط أيام الدولة الفاطمية و من ثم الدولة الحمادية بعاصمتها في القلعة (**ثامسيلت-المسيلة**) و الناصرية (**بجاية**) خاصة العلاقات بين الكتاميين والصنهاجيين. لكن لم يبزغ مجدها إلا في نهاية العصر الوسيط و بداية العهد العثماني خاصة أن مؤسس زاوية تمقرة الحالية كان قد ولد وترعرع عند أجداد الشيخ **المقراني** (**آث مقران**) بقرية (**ثقرابث**) ثم استكمل دراسته في وانغلي (تمقرة القديمة).كما لا ننسى الدور الحضاري لحاضرة تمقرة بعد الغزو الاسباني لبجاية مع مطلع القرن ال15م التي أصبحت قلعة للعلم في المناطق الداخلية لبجاية.وربما التحرشات الاسبانية على بجاية الحفصية هي التي أدت إلى هجرة الكثير من علماءها إلى حواضر احرى مثل ما فعل صديق الشيخ يحي العيدلي الشيخ عبد الرحمن الثعالبي زميله في طلب العلم في بجاية عين غادر إلى المشرق وكذا فعل يحي العيدلي عندما عاد إلى **تمقرة** ليؤسس زاويته التي ستذيع صيتها خلال القرن التاسع الهجري.

أما الدور الآخر لحاضرة تمقرة أنها كانت حامية للعلم والدين فإنها أيضا كانت حاملة لواء الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي كحليفة لإمارة بني عباس منذ العهد العثماني حتي قيام ثورة الشيخ المقراني عام **1871م**.وواصلت ذلك النضال رغم تدميرها عدة مرات وتم إحياءها من جديد من طرف سكانها وبفضائل شيوخها مثل الشيخ **محند أمقران أيت علجت** و ابنه الشيخ **محمد الطاهر** عام **1937م** ثم أعيد قصفها في ماي **1956م** بسبب دعمها للثورة وانتشار الوعي الوطني في أبنائها منذ مطلع **1955م** وهذا كان سببا في التحاق طلبتها بالثورة إلى غاية الاستقلال لتقدم أكثر من **100** شهيد من شيوخها و طلبتها ومازالت القائمة الرخامية المجدة لهم شامخة في مدخل الزاوية إلى جانبها مقبرة الشهداء لبلدية تمقرة.

لا يمكن التحدث في هذا المقام عن دور الزاوية الحالي وقبله خلال الثورة التحريرية إلا بالعودة إلى تأثيرها منذ القرن التاسع للهجرة-الخامس عشر للميلاد خاصة على الصعيد المحلي (**الإمارة المقرانية**) وعلى صعيد منطقة القبائل خلال العهد العثماني إلى غاية مرحلة الإستعمار الفرنسي،خاصة التأثير الديني والثقافي و حتى الإجتماعي والإقتصادي الذي لا يمكننا إعطاء صورة واضحة عن المجتمع المقراوي العيدلي بسبب نقص المصادر ، لكن نستشف ذلك مما يمكن فهمه من الموروث الشفهي و بعض المصادر التاريخية مثل (**الرحلة الورثيلانية**) وكتاب (**تعريف الخلف برجال السلف**) للشيخ **أبو القاسم محمد الحفناوي** ومذكرات الشيخ **محمد الطاهر أيت علجت** الموسوم ب(**رحلة قرن من عمر الشيخ محمد الطاهر أيت علجت**) لنجله **محمد الصالح** ، إلا أن العامل التضاريسي أثر كثيرا على المجتمع سلبا في حياته المعيشية و في نشاطه الإقتصادي.و بهذا تتميزت الظروف التي عاش فيها المجتمع العيدلي بالقسوة والشدة ، وطغيان الجهل والفقر والمرض الدائم بين الأفراد والجماعات هذا منذ سقوط الدولة الموحدية .وخلال الفترة التالية من الدولة الحفصية والتي تنتمي إليها حاضرة بجاية إلى غاية العهد العثماني.وتحسنت قليلا مع تحول المنطقة وزواياها إلى (**رباطات**) لمجابهة الخطر الإسباني ثم بعد ذلك الخطر الفرنسي.وقد استغلت السلطة العثمانية القيادات الدينية في المنطقة لخدمة مصالحها كسبا لودها و حفاظا على

جباية الضرائب فقد اعفت هذه القيادات مقابل امتيازات بإبرام تحالفات مثل التحالف مع إمارة بني عباس و إمارة كوكو.

لكن سرعان ما تغيرت هذه العلاقات مع أواخر العهد العثماني على شكل ثورات.وقد استغلت السلطات الفرنسية المحتلة هذه الصراعات بالاعتماد على الباشاغوات والقياد و العملاء ضد الثائرين من المقاومين ، وبعد استكمال التوسع سلبوا بعض الزوايا المقاومة لوجودهم فهجروا و سبوا ونفوا وصودرت أملاكهم الخاصة الفردية والجماعية بالإضافة إلى أملاك المؤسسات الدينية الوقفية كما حدث في منطقة القبائل خلال ثورات الشيخ **الحداد والمقراني** و غيرهم.كما عمت المظالم والإعتداءات و اذكت المحاكم استمرارها بدل إخمادها والفصل النهائي فيها و ذلك لما كانت تدر لها من مكاسب.كما تراجع المستوى التعليمي الذي تقدمه هذه الزوايا بعد غلق الكثير منها أو عمدت إلى مراقبتها تعطيلا للتعليم مثل ما فعلت مع زاوية الشيخ يحي العيدلي خلال ثورة الشيخ المقراني **1871م** باعتبارها كانت حليفة لإمارته في بني عباس(القلعة)، ولدعمها لثورة الشيخ الحداد أيضا فقد عطلت هذه الزاوية إلى غاية **1937م**.

ويبدو أن الزاوية ببجاية عامة وتمقرة خاصة كانت في بداية ظهورها كانت مرادفة للرابطة (**الرباط**) التي شاع انتشارها في المشرق ن ولكن سرعان ما أخذت في دورها التعليمي ، مثل زاوية الشيخ سيدي **يحي العيدلي** ، خاصة أنها تنتمي إلى الريف البجائي الذي لها قسط كبير في نشر التعليم الديني و الفكر الصوفي مع مطلع القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي، حيث التعليم الرسمي فيها أخذ في الإزدهار بسبب إنتشار نفوذ الزوايا وهيمنة شيوخها على عقول الناس. فكان لذلك تأثير في العديد من العلماء والفقهاء والمتصوفة . كما اعتبرت هذه الزوايا بمثابة مخازن و دووان الكتب والمخطوطات في مختلف العلوم. كما ساهمت في إنهاء الخلافات الداخلية و محو الفوارق الإجتماعية ورفعت لواء الجهاد ضد الغزاة الإسبان ثم بعد ذلك الفرنسيين. لذلك إرتئينا أن نعرف بزاوية الشيخ **يحي العدلي** و مؤسسها.

-2التعريف بزاوية الشيخ سيدي يحي العدلي لتعليم القرآن الكريم وعلومه :

أ-**ترجمة الشيخ يحيى العيدلي** : تنتسب هذه الزاوية إلى مؤسسها الشيخ سيدي **أبو زكريا يحيى بن أحمد العيدلي** المتوفى سنة **881 هـ** ، و قد تلقى تعليمه ببجاية و تخرج على يد علماء أجلاء كانت بجاية قد استضاءت بنور علومهم في عهد مجدها و سؤددها .وقد باشر الشيخ سيدي يحيى العدلي بن أحمد التعليم في معهده بتمقرة الذي فتحه في حدود منتصف القرن التاسع الهجري ، فلم يمض وقت طويل حتى أصبحت هذه الزاوية قبلة طلاب المعارف و العلوم من كل حدب و صوب من داخل الجزائر و خارجها ، بفضل ما كان للشيخ من توفيق استقطب إليه كل راغب في تحصيل العلم ، بما امتازبه من نصح للطلبة و إخلاص في القول و العمل و فتح من الله تعالى جعله مشهورا ، فتخرج على يده جمع غفير من العلماء الأعلام بلغت مراتبهم الدرجات العليا في التحصيل العلمي.

ب- من تلاميذ الشيخ سيدي **يحيى العدلي** :نذكر منهم :الشيخ **أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي** المشهور ب(**زروق**)، و الذي تولى التدريس في نفس الزاوية ، كما عكف فيها و تحت إشراف شيخه على كتابة كتبه ك(شرح رسالة لابن **أبي زيد القيرواني** في الفقه) .والشيخ **عبد الرحمن الصباغ** شارح (**الوغليسية**) للشيخ **عبد الرحمن الوغليسي** في الفقه و (**شرح البردة**) للبوصيري .والشيخ **أحمد بن يحي** مؤسس زاوية **أمالو (صدوق)**.والشيخ **الخروبي** صاحب المؤلفات الكثيرة، منها (**شرح وظيفة الشيخ سيدي يحيى العدلي**) .والصوفي الكبير الشيخ **أحمد المليانى** .والشيخ **بهلول عاصم** .والشيخ **إيدير بن صالح** .والشيخ **إبراهيم بن عمار** .والشيخ **عبد الرحمن الثعالبي** .والشيخ **أحمد بن عبد الرحمن** جد عائلة المقراني الثائر على فرنسا .وو غيرهم.

3- ترجمة مجدد المعهد العدلي الشيخ محمد الطاهر أيت علجت المقراوي من خلال مذكراته (**رحلة قرن**) :

أ-التعريف بمذكرات الشيخ **محمد الطاهر أيت علجت** الموسومة ب(رحلة قرن): تقع في حوالي خمسمائة صفحة والموسومة ب(رحلة قرن من عمر العلامة الشيخ محمد الطاهر آيت علجت) الذي كتبها له نجله الأستاذ الشيخ

محمد الصالح ، وقدم له صديقه الشيخ محمد الصالح الصديق ، ونشرت أخيرا بعد طول انتظارعن درا أبجديات للطباعة والنشر و التوزيع – برج بوعريريج عام **2016**، و قدم بمناسبة إحتفالية عيد ميلاده القرن بالمكتبة الوطنية – الحامة وتم تكريمه من طرف إدارة المكتبة ووزارة الثقافة في يوم **28 ربيع الأول 1438** الموافق ل **28 ديسمبر 2016** بحضور شخصيات ورجال الفكر والثقافة في الجزائر.

و تقع المذكرات في مقدمة وتمهيد و ستة أبواب و خاتمة مع مجموعة من الملاحق والفهارس. في الباب الأول: تكلم في فصله الأول عن النشأة و بيئتها ، وفي الفصل الثاني تحدث عن الدراسة ومراحلها ، وفي الباب الثاني : في فصله الأول عن التعليم وثانيه عن الإصلاح الإجتماعي . وفي الباب الثالث: في فصله الأول عن النضال في الحركة الوطنية وفي ثانيه عن الجهاد في الثورة التحريرية و في ثالثه عن مرحلة تونس وفي رابعه عن الرحلة إلى المشرق وفي خامسه عن رحلته إلى ليبيا ثم في سادسه عن تأملات في الأحداث. أما في الباب الرابع: تحدث في فصله الأول عن مرحلة ما بعد الإستقلال ، وفي ثانيه عن المعلمون الأحراروفي ثالثه عن التعليم الحر الدعوي والمسجدي. وفي رابعه عن التعليم الثانوي. أما الباب الخامس أسهب في فصله الاول عن العلاقات والإسهامات في الحياة العامة. وفي ثانيه عن التكريمات وفي ثالثه جهود الشيخ محمد الطاهر في تصحيح المؤلفات والدراسات و تقريظها.وفي رابعها عنونه بعموميات . وأخيرا في الباب السادس تكلم في فصله الأول عن ماكتبه و في ثانيه عن ما كتب عنه وفي ثالثه عنونه بحوارات مع الوالد. واختتم بخاتمة و ملحقات مهمة و فهرسه بفهارس متنوعة. وهذه حوصلة لما قيده نجل الشيخ عن حياته وحوارات ومقابلات عن أهم أحداث حياة والده و ما نشر من رسائل و شذرارت أخرى بقلم الشيخ محمد الطاهر آيت علجت. وهي مذكرات مهمة للباحثين للغوص والبحث أكثرعن كل تفاصيل الشيخ حفظه الله في الشق الدعوي والتعليمي و الشق الحياتي و في الشق الجهادي ودوره في الثورة التحريرية خاصة عندما عين قاضيا شرعيا من طرف العقيد عميروش أيت حمودة وتكليفه من طرف هذا الأخيرلرعاية شؤون الطلبة الجزائريين في تونس وليبيا .

ب-ميلاده ونسبه وظروف نشأته الإجتماعية والإقتصادية والدينية:ولد الشّيخ العلاّمة محمّد الطّاهر بن محند أمقران بن محمّد الطّاهرآيت علجت يوم **5 محرم 1335هـ**.

الموافق لـ7 فيفري 1917م بعرش آث عيذل في قرية وحي ثيغيلت ببلدية ثامقرة دائرة آقبو ولاية بجاية حسب كناش والده الشيخ محند أمقران وقد تأخر تسجيله في الحالة المدنية على العهد الإستعماري لمدة أسبوع وكان ميلاده بشارة لوالديه وتحقيقا لرؤيا كانت تتكرر لدى والده الشيخ مقران و والدته آمينة وقد ورث عنهما الفطرة السليمة والطهر لكونها عائلة محافظة متدينة ومتمسكة بموروثها الثقافي والديني و العلمي والخلقي أبا عن جد ، أما نسبه فهو يتصل عن طريف أبيه محند أمقران بن محمد الطاهر بن صالح المتصل النسب إلى الشيخ أبي زكريا يحي بن أحمد العيدلي المقراوي.

وقد ولد في ظروف الحرب العالمية الأولى (1914-1918) وعقب الثورة البلشفية و قانون التجنيد الإجباري الذي جند بنو جلدته في حرب لا تعنيهم لا من قريب ولا من بعد ،و في فترة إرهاصات النهضة الثقافية والإصلاحية مع بداية القرن العشرين الميلادي ، وشاءت الأقدار أن يكون من أهم أقطابها في العقود التالية من عمر الحركة الوطنية الجزائرية في الريف البجائي. ليحمل لواء الدعوة والتعليم التي بدأها جده الشيخ يحي العيدلي.

أما عن البيئة المحلية في جميع مناحيها التي عاش فيها الشيخ محمد الطاهر أيت علجت كانت بيئة جبلية وعرة أكثر ما تكون صالحة كمحارس وحصون أو كأبراج مراقبة مثل منطقة (بوكردوس) و (تاسيرة) و (أذرار إولان) أو (أذرار أومازا) و غيرها من المناطق المقراوية.أو كممرات آمنة مثل (ثاسيفث بوتواب و توفيرت) و (أسيف أو وادي بوسلام) و هي كلها مخانق بين القبائل الغربية والشرقية تربط جرجرة بالبيبان .وظلت المنطقة معزولة طيلة الفترة الاستعمارية، لكن لم يستسلم أهل تمقرة للظروف القاهرة الطبيعية والأمنية ، بل كافح و اشتغل على خدمة الأرض الجبلية الشحيحة المردودية بالاعتماد على النفس وكانت من الموارد أشجار الزيتون والتين والهندي والمشمش واللوز . أما الحبوب فأغلبها الشعير إلا انها ضعيفة المردودية لان الأرض غير صالحة مما اضطر السكان إلى المقايضة مع أهل البرج ومجانة ، بالإضافة إلى الخضروات والبقول الأخرى وبهذا فالمعيشة هي معيشة الكفاف .ولا يمكن نسيان تربية الحيوانات التي غالبا ما تودع إلى البرج وجرجرة وأعالي أقبو (شلاطة- إشلاظن) للرعي بعد فترة الحرث والحصاد لعدم توفر المراعي في تمقرة وعرش آث عيذل.كما يعتمد المجتمع المقراوي العيدلي على الحرف اليدوية حسب المادة الأولية المتوفرة.

ونظرا لمكانة الزاوية كمؤسسة دينية و دورها الإجتماعي والتعليمي فقد كانت العلاقات بين أهل تمقرة و قبائل الأعراش المجاورة علاقات وطيدة جدا فشيخ الزاوية وأئمة مساجد تمقرة ومداشرها (تاسيرة – توفيرت- بوتواب- بوكردوس- بيشر- ثيزي عيذل – ثوريرث) يلعبون دورا كبيرا في إصلاح ذات البين و فض النزاعات والفصل فيها ، فيقول المتنازعين لخصومهم لنذهب إلى ربي والنبي ليكون الفصل والمحاكمة لدى الشرع الحكيم فيذهب بكل العداء والخصام بتدخل الشيخ والأعيان من العقلاء من أهل تمقرة ،فيقبل الخصماء تحكيمهم ،وينتهي ذلك بالدعاء بالخير للطرفين ينصفان بالتراضي من غير غالب أو مغلوب ولكن (مسامح و متسامح).وقد أثمرت هذه المساعي تقدير و احترام كل سكان القرى المجاورة لتمقرة وكانوا محل ثقة الجميع فتعاون الجميع وكان أهالي القرى المجاورة عونا و سندا بما يمدونه من زكواتهم و أموالهم و أرزاقهم تقديرا لرسالة الزاوية التعليمية والإصلاحية والاجتماعية.

فالزاوية المقراوية كان اهتمامها تعليمي و دعوي و مسجدي محض لكن مع الوقت أضحى تأثيرها الإجتماعي والإقتصادي والثقافي جليا في الممارسات اليومية لسكان حاضرة تمقرة و ما جاورها من أعراش بني عيذل وغيرها. وكانت تعتمد في تدريسها على الفقه المالكي و النحو والبلاغة و أصول الفقه والتصريف والحساب وغيرها.كما اهتمت بالمواريث . ومن الكتب التي أوردها لنا الشيخ محمد الصالح أيت علجت في كتابه (رحلة قرن) التي درسها أبوه الشيخ محمد الطاهر أيت علجت لطلبته في الزاوية التي توارثها عن والده الشيخ مقران و جدهما الشيخ يحي العيدلي نذكر منها : لباب الفرائض للشطي ، و شرح متن الدرة البيضاء للأخضري ، و شرح متن الرحبية ، و شرح مواريث متن سيدي خليل ، و شرح مواريث متن الرسالة لابن أبي زيد ، و شرح مواريث متن تحفة

الحكام.وبهذا يمكن الحكم أن الزاوية المقراوية وشيوخها اعتنوا كثيرا بتطبيق الأحكام الشرعية.

ج-**تعليمه وشيوخه**: حفظ القرآن الكريم على يد والده الشيخ محند أمقران الذي له مكانة علمية مرموقة محليا وهو صاحب فكرة إعادة بعث زاوية تمقرة ، وهو في الحادية عشر من عمره، ثمّ أوكله إلى أربعة من شيوخ ثامقرة، أوّلهم: **الشّيخ الصّالح أوقاسي** (المتخصّص في القراءات العشر) تلقّى شيئًا منه إلى جانب مبادئ العلوم الشّرعية والنّحوية، وثانيهم: الشّيخ **محند وعلي** و وثالثهم الشيخ **الطيب مداغ**، أمّا رابعهم: فهو الشّيخ **الطيّب اليتورغي**. بعد ذلك ومثلما يؤكّد تلميذه الأستاذ **محمّد الصّغير بن لعلام**، ألحقه والده بزاوية سيدي **أحمد أويحيى بأمالو** التابعة حاليا إلى دائرة صدوق ببجاية ، وعمره 12 سنة، فدرس على شيخين جليلين من كبار علماء المنطقة، بل من كبار علماء الجزائر، مدّة 4 سنوات، أوّلهم الشّيخ **لحلو الخياري** (كان حجّة في الفقه المالكي وفي القراءات)، والثاني هو العلاّمة الشّيخ **السّعيد اليجري** (أحد مؤسسي **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**) مختلف فنون العلم كالفقه واللغّة والصرف والبلاغة والفلك والحساب .

وما بين سنتي 1930 و1934م وهو في السنة الثالثة عشر من عمره رحل إلى زاوية الشيخ **أحمد بن يحي** بآمالو وفيها تلقى العلم من عالمين جليلين هما : الشيخ **لحلو خياري** المعروف بالشيخ **لحلو وعماره** المتضلع في العلوم العربية و الشرعية والقرآنية ، وكذلك الشيخ **السعيد اليجري**(1873-1951) العالم المعروف من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931 وهو متضلع أيضا في العلوم اللغوية والشرعية .ويقول عنه تلميذه الشيخ الطاهر:((**ما من أحد من مثقفي الجزائر إلا و أخذ عنه العلم ، أو أخذه عمن اخذ عن الشيخ السعيد رحمه الله**)).

ثمّ شدّ الرّحال إلى زاوية سيدي الشّيخ **بلحملاوي** بوادي العثمانية(**قرب وادي سيقان**) بالتلاغمة قرب **قسنطينة** ما بين 1935-1937 ، حيث أتمّ هناك دراسته الشّرعية من فقه ولغة، كما تعدّاها إلى غيرها من العلوم كالحساب والفلك، بالإضافة إلى العلوم الإنسانية كالتاريخ والجغرافيا وغيرها، على يد خمسة شيوخ كلّهم زيتونيون، ثلاثة منهم تونسيون هم: الشّيخ **مصباح الحويدق التونسي** أخذ عنه علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وعقيدة ومنطق ، والشّيخ **محمد الميزوني التونسي** أخذ عنه فقه المعاملات والشّيخ م**حمود قريبع التونسي** أخذ عنه التجويد والأدب ، وجزائريان: الشّيخ **السّعيد بن مالك اليعلاوي السطايفي** أخذ عنه الفرائض والفقه ، والشّيخ **أحمد الخالدي البسكري** أخذ عنه كتاب **سيدي خليل** في شرح لبعض مضامينه وكذا فن الكتابة الإنشائية. وقد عرف عن الشيخ **علي الحملاوي** السخاء المنقطع النظير في الإنفاق على الطلبة و تشجيعه للعلم والعلماء، وإدخال المناهج التعليمية المتقدمة التي تمتازبها المعاهد المعروفة مثل الزيتونة و القرويين والأزهر. وكان قد أشار الشيخ **علي الحملاوي** بأن يعيد تلميذه **محمد الطاهر** فتح زاويته بتمقرة معارضا أخاه الشيخ **عمر الحملاوي** في تعيينه في مسجد **أولاد سلطان بالبويرة** كما تم تكريم الشيخ **محمد الطاهر**ببرنوس بعد تكرمه بتقديمه لصلاة وخطبتي عيد الفطر عربونا على نجابته وإحترامه له قبل عودته إلى تمقرة.

اعتناء أمراء وملوك المغرب بالحديث النبوي رواية ودراية

كتبه: د. نور الدين الحميدي الإدريسي

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

أَوْلى ملوكُ وأمراءُ المسلمين على مر العصور عناية فائقة بالسنة النبوية، واهتبالا كبيرا بالحديث الشريف، ويبدو ذلك بدءًا من عهد الدولة الأموية التي كان أمراؤها يعاصرون زمن الرواية، وكذا أمراء الدولة العباسية، الذين ذُكِرَ جملة منهم ضمن رجال الكتب الستة، ونجد في زمن الدولة الأموية الخليفةَ الراشد عمر بن عبد العزيز، تُجمع مروياتُهُ في مسند مفرد، عندما انتهض لذلك الحافظ **أبو بكر الباغَندي** (ت 312هـ)[1]، ثم توالى هذا الاعتناء بالسنة النبوية من قِبَل من جاء من ملوكِ وأمراءِ المشرق في شتى العصور، وأما ملوك والأمراء بالمغرب الإسلامي فضربوا في هذا الباب بسهم من الإجادة، وأبدوا من الاحتفاء بالسنة الشريفة ما تُخْلع عليه ديابيج الثناء والإشادة، فهذا **الأمير المرابطي ميمون بن ياسين الصنهاجي** (ت:530هـ)[2]، سمع **صحيح البخاري** على **أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي** بمكة المكرمة سنة: 497هـ[3]، وابتاع منه أصل أبيه أبي ذر الهروي الحافظ بمال كثير، وفي ذلك يقول **الحافظ السِّلَفيُّ**: «وقد كان ميمون بن ياسين الصنهاجي من أمراء المرابطين، رغب في السماع منه بمكة واستقدمه من سراة بني شبابة، وبها كان سكناه وسكنى أبيه أبي ذر من قبل، فاشترى منه «صحيح» البخاري، أصل أبيه الذي سمعه فيه على **أبي إسحاق المستملي** و**أبي محمد الحَمُّوِيي** و**أبي الهيثم الكُشْمِيهَني** عن الفَرَبْرِي عن البخاري، بجملة كثيرة وسمعه عليه في عدة أشهر قبل وصول الحجيج».[4]

فهذا الأمير المرابطي أول من أدخل هذه النسخة النفيسة إلى المغرب، والتي سيتداولها حفاظ المغرب عبر العصور، ومن الأمراء المرابطين الذين اهتبلوا بالحديث وأهله؛ **الأمير أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي، اللمتوني** (ت 515هـ) - ظَنًّا -، الذي كان مُكْرِما لحافظ الأندلس ومحدثها أبي علي الصدفي، وحرص على السماع منه أثناء ولايته لحكم مرسية، فذكره ابنُ الأبار ضمن «**معجم أصحاب الصدفي**»[5]، ومن أمراء المرابطين الذين سمعوا من **أبي علي الصدفي**؛ **أبو علي المنصور بن محمد الصنهاجي اللمتوني**[6]، و**الأمير عمر بن ذمام بن المعتز الصنهاجي**[7]، وهذا الأمير **أبو محمد سير بن علي ابن تاشفين اللمتوني**، يروي الحديث المسلسل بالأخذ باليد عن **أبي محمد ابن أيوب الشاطبي**[8].

1- صدر بتحقيق: محمد عوامة، عن مؤسسة علوم القرآن، سنة: 1404هـ.
2- تُنظر ترجمته في (التكملة،٢/١٩٧) لابن الأبار.
3- تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام،١٠/٤٩٧) للذهبي.
4- (الوجيز في ذكر المجاز والمجيز،124).
5- (ص:55).
6-(معجم أصحاب الصدفي،193)، وتُنظر ترجمته في (التكملة،2/193) حيث ذُكر أنه يروي عن مشاهير الحفاظ بالأندلس.
7- (معجم أصحاب الصدفي،193).
8- (معجم أصحاب الصدفي،212).

ثم تأتي الدولة **الموحدية** فنجد هذا الاعتناء يتضاعف، إذ كان أمراء هذه الدولة يميلون إلى الدليل والاجتهاد، ويجنحون للمذهب الظاهري الذي يعظم الحديث ويحط على أهل الرأي والتقليد، حيث نلفي مؤسس الدولة المهدي بنُ تومرت يلخص «**الموطإ**» في كتاب وسمه بـ«**محاذي الموطإ**»[9]، واختصر «**صحيح**» الإمام مسلم[10]، بل إن أحد أمرائها وهو الأمير النبيه العالم أبو يعقوب **يوسف بن عبد المؤمن الموحدي** كان يحفظ «**صحيح**» البخاري[11]، وكان من هديه الذي قرره - رحمه الله - أن أمر العلماء بجمع الأحاديث الواردة في الجهاد وفضله، فيُمْلِيها بين يدي غزواته[12]، فسلك سبيله من بعده ابنُهُ الأمير **أبو يوسف يعقوب الموحدي** الذي جاهر بالعداء للمذهب المالكي ومن يقلده، ورفَّعَ من شأنِ الحديثِ وأهله، «ونال عنده طلبة العلم -أعني علم الحديث- ما لم ينالوا في أيام أبيه وجده «.[13]

فتأتي بعدها الدولة **المرينية** التي لم تقصِّر في حفِّ السنة بأصناف العناية، فلا تكاد تخلو الخزائن المغربية الشهيرة من كتب السنة، التي أوقفها المرينيون عليها نشرا للعلم ورغبة في الأجر، وأجل أمراء هذه الدولة أبهة وأعظمهم سلطانا وأعلاهم قدرا ؛ الأمير أبو الحسن المريني (ت: 752هـ)، ويكفي في الدلالة على بالغ عناية بالحديث رواية وتفهما، أنها كاتب باستدعاء الإجازة جِلَّة حفاظ المشرق وأعيان علمائه، فأرسلوا له بإجازاتهم، وأرفقوها بقصائد في مدحه وعيون تواليفهم، ومن هؤلاء الأعيان الذين كاتبوه بإجازاتهم: الإمام الحافظ **جمال الدين المزي**، والمؤرخ **أبو عبد الله الذهبي**، والإمام **تقي الدين السبكي**، والإمام النحوي **أبو حيان الغرناطي**.

وبالاعتماد على إجازات هؤلاء العلماء، انتهض الحافظ **ابن مرزوق التلمساني** (ت:781هـ) لتخريج أربعين حديثا في الأحكام للأمير **أبي الحسن المريني**، وهي أربعين حديثا تحفل بالفوائد الأدبية والشعرية والنكت الإسنادية والملح الفقهية، وتدل على أن هذا الأمير كان معتنيا بهذا الفن، ومقتفينا لسَنن أهله وأربابه.[14]

وتلاه ابنه الأمير **أبو عنان المريني** (ت:759هـ) في جليل الاعتناء وشديد الاحتفاء بالسنة المطهرة، فأوقف نسخة من «السنن» للنسائي، ونسخة من «**الموطإ**» على خزانة القرويين، وقد خرَّج له الحافظ ابنُ مرزوق التلمساني (ت:782هـ) ثَبَتا بأسانيده في «**الكتب الستة**» لقبه بـ«**واسطة العقد الثمين**»[15] وهو ثَبتٌ على وجازته حفيل بفرائد الأسانيد وتناويع الطرق إلى الكتب الستة (**الموطأ، البخاري، مسلم، الترمذي، أبي داود، والنسائي**) وأسماء شيوخه في هذه الكتب تدل على أنه شارك والده في كثير من حفاظ المشرق وأعلامه، مثل: **أبي عبد الله الذهبي، وجمال الدين المزي، والبِرْزالي، وتقي الدين السبكي**، بل شاركهم في بعض شيوخهم.

ووصف **ابنُ مرزوق** اعتناء أبي عنان بالحديث، فقال: وكان أول ما نَدَبَ علماءَ حضرتِه إليه، وحرَّضَهم المرَّةَ بعد المرةِ عليه، وأفادهم معرفةَ علومِهِ بين يديه، علمُ الحديثِ ومعرفةُ اِسْتِنادِه، ووَجْهِ إرْسالِهِ وتعليقِهِ وإسْنَادِه، فأسْمَعَهُم أسانيدَ الأخبار، ورَوَّاهم عن الثقاتِ الأخيار، وصدَّر مجالسَهُ الشريفةَ بذكرِ الأسانيد، وروايةِ المجموعاتِ والمسانيد، فقَرَع كلٌّ منهم سنَّ النَّدَم، على ما فرَّط فيه من معرفةِ هذا العلم، كنت ممن حمدِ اللهَ على أن أخذت منه أنْزَرَ حظٍّ في القِسْم.[16]

وأختم هذا التنبيه على ضروب احتفاء ملوك المغرب الإسلامي وأمرائه بالسنة النبوية، بملوك الدولة **العلوية** الشريفة، وعلى رأسهم المولى **محمد بن عبد الله العلوي**، الذي جدَّ في تحصيل الحديث وعلومه، وأسهم بالتأليف فيه، فألف كتابا وسمه بـ«**الفتوحات الإلهية، في أحاديث**

9- منه نسخة محفوظة بخزانة جامع القرويين، تحت رقم: (40/181).
10- منه نسخة محفوظة بخزانة جامع ابن يوسف بمراكش تحت رقم: (403).
11- ذكر ذلك عبد الواحد المراكشي في (المعجب،167).
12-(المعجب،180).
13- (المعجب،199).

14-هذه الأربعون حديثا تصدر قريبا بتحقيقي عن دار السلام بالقاهرة.
15- الكتاب صدر بتحقيقي عن دار البشائر الإسلامية، سنة: 2016م.
16- (واسطة العقد الثمين،75).

خير البرية، التي تُشْفَى به القلوب الصدية»[17]، وقد أرسل سفراءه إلى تركيا لجلب مسانيد **أبي حنيفة والشافعي والإمام أحمد** حتى يؤلف هذا الكتاب، كما أصدر مرسوما يحض فيه على قراءة كتب السنة ودراستها مع تعيينها[18]، فأحيى بذلك ما اندرس من علومه، وبعث ما اندثر من رسومه، ودرج على هذه السنة ابنُه المولى سيدي **سليمان بن عبد الله العلوي**، والذي ألف له المؤرخ **أبو القاسم الزياني** فهرسة ذكر فيه شيوخه وأسانيده في علم الحديث وغيره[19]، كما هو شأن هذا الكتاب الذي أحطته بالاهتمام والاعتناء.

وبعد هذه الإلمامة الكاشفة عن سمو مكانة السنة النبوية لدى أمراء المغرب الإسلامي وملوكه، أنص على أن هذه المقالة في غاية الاختصار، واشتملت في تضاعيفها من القول ما يُحوجه التفصيل والتطويل، ولعل فيما نبهت عليه بلغة للمستعجل ومقنع للمستوفز، وأختم بالحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين.

17- صدر عن دار الكتب العلمية، سنة: 2010م، وقد جمع فيه الأحاديث التي اتفق على روايتها، الإمام مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري ومسلم.

18- للدكتور أحمد العمراني دراسة بعنوان: (النهضة الحديثية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله)، منشورة ضمن مجلة دعوة الحق، العدد347، تاريخ: 1420هـ/1999م.

19-عنوانها: (جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان) صدرت عن دار الكتب العلمية، بتحقيق: عبد المجيد خيالي، سنة: 1424هـ

نادي الترقي - الإرث الثقافي المنسي -

عامر غزير الجزائر

عمل الاستعمار الفرنسي منذ احتلاله للجزائر سنة 1830م على بسط سيطرته على الجزائريين سواء بالقوّة العسكرية المدعومة من الدول الأوروبيّة أو بالخطط الاقتصادية والثقافيّة والاجتماعية؛ وقد تنوعّت الممارسات الهمجية من الإدارة الفرنسية حسسب الأهداف المسطرّة، فالإبادات الجماعيّة والقتل العشوائي وملاحقته الشخصيات المشهورة كانت بهدف القضاء على الشعب الجزائري برمّته، وسياسة التجهيل والتسلّط على المؤسسات الدينية من مساجد وزوايا ومصادرة الأراضي والممتلكات والمدارس كانت لجعل الشعب الجزائري دون هويّة وفرض الفرنسية بدل العربية التي تعتبرلغة التواصل والعلم؛ وقد سخّرت الإدارة الفرنسية أموالا طائلة للمشاريع الثقافية والاجتماعية التي تعمل إلى إذابة المجتمع الجزائري وإدماجه عنوة مع العنصر الفرنسي تفكيرا ولغة وحتى دينًا.

وفي خضم هذا ظهرت عدة ثورات في ربوع الجزائر كرد فعل عن هذه الممارسات؛ ومعظم الثورات اقتصرت على المجابهة بالسلاح لصد التوسّع الفرنسي وإرغامه على التراجع؛ إلا أنّ قوّة الاستعمار مكّنته من التوسع وبسط سيطرته على أغلب المناطق الجزائرية.

وبعد مرورما يقارب القرن من الاحتلال تغيّرمفهوم النضال من المسلّح إلى السياسي فظهرت حركات إصلاحية وطنيّة تناضل من أجل طرد الاحتلال وإعادة الهيبة للشعب الجزائري ودولته ونشر الوعي والعلم النافع لتحصينه من محاولات إذابته المتواصلة.

كللت هذه الحركات الإصلاحية نهاية العشرينات من القرن الماضي بنجاحات هامة على مستوى التطور الفكري والنضج السياسي والوعي الحضاري؛ حيثُ ظهرت النوادي والجمعيات التي تعنى بنشر الوعي داخل المجتمع الجزائري ومنها نادي الترقي بالعاصمة الذي تأسس سنة 1927م عن طريق أعيان العاصمة في محاولة لبثّ روحٍ جديدة للمجتمع.

1- تعريف نادي الترقي:

يعتبرنادي الترقي من النوادي التي ساهمت في اليقظة الوطنية ومظهرا من مظاهر النهضة الجزائرية في مطلع القرن العشرين، وقد ساهم النادي في العديد من مظاهر الكفاح القومي الوطني، كما أنه احتضن العديد من الأنشطة الطلابية والتظاهرات الرياضية.

وقد مرّ على النادي العديد من الشخصيات من مختلف التيارات عمل القائمون عليه على جعله مركزا للتهذيب ونشر الوعي بعد تفشي الجمود الجهل والفساد في أوساط الشباب جرّاء السموم التي تبثها فرنسا أخلاقيا وفكريا.

تأسس النادي سنة 1927م ؛ السنة التي تعتبر رمزا آخر لنهضة الجزائرفهي التي أعلن فيها زعماء نجم شمال إفريقيا عن مطلب الاستقلال، وظهر بعدها الحديث عن تأسيس جمعية المصلحين وهي الجمعية التي ستظهر بعد أربع سنوات في صورة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[1] وقد أنشئ كجمعية (علميّة ثقافية خيرية) قام الثلاثي: أحمد توفيق المدني ويحي بن مرابط، ورودوسي قدور بن مراد بتحرير قانونه الأساسي[2] وحدّد محمد العاصمي

1- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج8 ، ط1 (دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998) ص416.

2- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج.2، دار البصائر، الجزائر،2008، ص165.

أهداف النادي العامة بقوله: ".. ولهذه الجمعية أن تفتح محلا أو عدة محلات للاجتماع، حتى يمكن لأعضائها أن يتقابلوا ويتذاكروا ويتعلموا، ولها أن تنظم دروسا وتقوم بمحاضرات ومسامرات وتمنح للتلامذة إعانات لإتمام تعليمهم وتنشر نشريات الخ[3].

ويقع النادي قرب ساحة الشهداء بالعاصمة يتربع على مساحة كبيرة تستوعب سبع مائة شخص؛ يحوي على قاعة للصلاة ومكتبة وقاعة شرفيّة للضيوف وفضاء كبير للمحاضرات، كما أنه له شرفة تطل على ساحة الشهداء يقابل المسجد الجديد والكبير وليس ببعيد عن مسجد كتشاوة الذي يظهر من القاعة الشرفيّة.

2- أهداف نادي الترقي:

إن نادي **الترقي** كما قال **ابن باديس**، رحمه الله، هو عاصمة النوادي، كما أن الجزائر عاصمة الوطن، وقد أنشأه أعيان الجزائر الذين يحرصون على ترقية الشعب الجزائري، ونهوضه، وذلك في سنة **1927م**، وأصبح بعد ذلك منبرا وموطن نشوء الجمعيات، ومنها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي تأسست فيه سنة **1931م**، وكان منبرا لها ثقافيا ودعويا، تعقد فيه مؤتمراتها، ومحاضراتها، واجتماعاتها، في وقت صعب يتحكم في مصير الجزائر وشؤونها الثقافية والدينية[4].

لذا نلاحظ مما قاله **ابن باديس** رحمه الله عن النادي أنّه صرح مهم لمجابهة سياسة التجهيل ونشر الفساد التي عمل عليها الاستعمار الفرنسي لعقود من الزمن، من خلال المحاضرات والندوات التي يقيمها، والملاحظ كذلك في تعيين الشيخ الطيب العقبي كخطيب للنادي وهو صاحب اللغة السلسة التي تلامس القلوب والعقول سواء، وبغزارة علمه واعتنائه بالشباب استطاع نشر الوعي والإصلاح وجعله منبرا دعويا وثقافيا.

ويمكن القول أنّ أهداف النادي العامة تكمن فيما يلي:

- حماية الشباب من الانحراف بكل أشكاله ولاسيما الفساد الأخلاقي.
- استغلال طاقات الشباب وتوجيهها لخدمة الأمة وتنمية الوطن وتربية الشباب تربية إسلامية.
- احتضان مختلف الأنشطة الجزائرية في اتجاهاتها المختلفة.
- مقاومة سياسة التجنيس والاندماج.
- إنشاء المنتديات والبنوك الإسلامية.
- والدعوة للتمسك بالكيان الجزائري.
- نشر التعليم والتوعية المعرفة والتنوير الاجتماعي.
- تطهير الجزائر من التعصب الجهوي الذي يزرعه الاستعمار بكل وسائله وخلق الأخوة الإسلامية.
- فضح أكاذيب الاستعمار الذي كان يفرق بها بين الشعب الجزائري.

3- نادي الترقي؛ نشاطاتٌ وشخصيات

تنوعت نشاطات النادي من الدعوة والوعظ إلى المجالس الأدبية والشعرية وهذا الجانب اقتصر في الغالب على شيوخ الجمعية، وهذا لا يعني عدم خوضها في مسائل الاقتصاد والاجتماع لكن تحديد أطر الإصلاح اقتصر على الشعار الثلاثي (اللغة والدين والوطن) أما المحاضرات التي تعنى بمستقبل الجزائر اقتصاديا فقد سجلت حضورها بتأسيس فكرة البنك الإسلامي وتوسيع دائرة الجمعيات الخيرية وتأسيس جمعية الزكاة وغيرها، كما أنه كان منبرا لنشر الوعي السياسي والحضاري مستقطبا الكثير من المفكرين وهذا ما جعل الإدارة الفرنسية تصنّف كل عالم يرتاد له من أعدائها لما شكّله من خطورة على سياستها الاستطانية.

ويعتبر الطيب العقبي الذي عيّنته جمعية العلماء بالعاصمة أحد أهم العناصر الناشطة في النادي حيث استطاع جلب الاهتمام بلغته وثقافته الحجازية الراقية وورعه وأسلوبه الليّن في الدعوة الإرشاد.

وباستمرار العمل الدعوي الذي أخذ به العقبي في النادي قد استقطب العديد من الأنصار بعد تعميق الهوية العربية الإسلامية وتعزيز الوازع الثقافي وإحياء اللغة العربية وجعلها لغة الخطابة والحوار والتعامل، كما جعل العقبي من هذه اللغة البديل في التفاهم بين الوافدين على النادي وخارجه وأصبحت اللغة العربية الأكثر استعمالا بين الأهالي في العاصمة بعدما كانت المدينة تعيش التغريب، وقد وصف الشيخ محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي[5] بعد زيارته للعاصمة الجو العام الذي أصبح عليه النادي بفضل الخدمات الجليلة التي قدمها العقبي للوافدين بقوله :

نادي الترقي في الجزائر عامر
بالوعظ و التذكير و الإرشاد
نادي به العقبي عقباه النجاة
من الجهالة أصل كل فساد

3- محمد العاصمي، أعظم ناد بالجزائر، مجلة الشهاب، العدد108، بتاريخ 4 أوت 1927، ص8.

4- عمّار طالبي، نادي الترقي ومسؤولية جمعية العلماء، موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1434 هـ

5- أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة، الجزائر 2007 ، ص133

نادي به القرآن يتلى و الحديث
و قول أصحاب النبي الهادي
حيي في نادي الترقي
أنفسا ذات مزية
في حمى النادي تهافت
أنفس الشعب الزكية
في حمى النادي تلاشت
همزات العنصرية
في حمى النادي تعالت
صرخة الشعب الدوية

ومن الشخصيات التي سجّلت حضورها في النادي منذ تأسيسه سنة **1927** نذكر ما يلي:

– **عبد الحمد بن باديس** (رئيس جمعية العلماء المسلمين) الذي دأب على زيارة النادي كلّما زار العاصمة وأشهر خطبة ألقاها كانت بعنوان (ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان) والتي أكد فيها على المكوّن الأمازيغي للأمة.

– **الشيخ البشير الإبراهيمي** نائب رئيس الجمعية والذي حاضر بالنادي أول مرة سنة **1929**.

– **الطيب العقبي** والذي عُيّن كخطيب للنادي.

– أحمد توفيق المدني وهو أحد مؤسسي النادي إذ يعتبر من الشخصيات المهمة الناشطة والمساهمة في نشر الوعي وتخليص المجتمع من الجهل والفساد.

– **الشيخ أبو يعلى الزواوي** والذي ألقى محاضرة في النادي بعنوان (الفرق بين أغنيائنا وأغنياء الإفرنج) أشار فيها إلى أهمية تضافر الجهود لإصلاح شأن المجتمع.

– **محمد العيد آل خليفة** شاعر الجزائر الأكبر والذي صدحت قريحته بكثير من القصائد الممجدة للغة والدين الإسلامي ومنهج جمعية العلماء ورجال الإصلاح.

– **مالك بن نبي** والذي زار النادي وقد ذكر ذلك في مذكراته [6] حيث ناقش الكثير من الأفكار مع الطيب العقبي

– **محمد بوراس** قائد الكشافة الإسلاميّة وأحد أقطابها والذي حضر لنشاطات النادي سنة **1936م**.

– تكريم الفنان العبقري الرسام إتيان نصر الدين ديني، المفتون بجمال الصحراء الجزائرية والمعجب بكرم أهلها الطيّبين. حدث ذلك إثر اعتناقه للإسلام، تحت إشراف فضيلة الشيخ محمد بوقندورة (مفتي المذهب الحنفي) بمسجد الجامع الجديد بالعاصمة [7].

– **أحمد بن بلّة** الرئيس الجزائري (**1962--1965**) والذي ألقى خطابا من شرفة النادي سنة **1965**.

– الشيخ المقرئ **عبد الباسط عبد الصمد** والذي اهتزّت لتلاوته القاعة بأكملها، في شهر رمضان من عام 1967.

هذه بعض الشخصيات الغنيّة عن التعريف التي حاضرت في النادي أو كانت ضيف شرف فيه، لتتّضح قيمة النادي ومكانته لدى العلماء ورجال الإصلاح والمفكّرين الذين كابدوا ورابطوا من أجل استرجاع السيادة الوطنيّة وبعث الأمل في المجتمع الجزائري من جديد.

-4 النادي في عهد الدولة الوطنيّة بين الغياب والتغييب:

يعد نادي الترقي جزءا من تاريخنا الثقافي وإرثا حضاريا وجب الحفاظ عليه وعلى المكاسب التي حققها طيلة عقود من الزمن، وهذا بفضل الله ثم بفضل الرجال الذين أسسوه وعملوا على جعله منبرا لنشر الوعي والإصلاح؛ لكن حاله الآن ينبئ على اللامبالاة في التعامل مع هذا الصرح الكبير، فقد تدهور كثيرا ولم يعد صالحا لاستقبال الوفود ولا لتنظيم الملتقيات والمحاضرات، وعوض أن يُعصرن بإعادة ترميمه وتجهيزه فقد تحوّل إلى مجرد اسم تاريخي، وهذه مسؤولية وزارة الثقافة والمجاهدين والسياحة والسلطات المحلية والنخبة من مؤرخين وأساتذة تجاه إرث كان شاهدا على حياة أمّة.

إنّ الاستمرار في سياسة تجاهل المعالم التاريخية لتراث الحركة الإصلاحية، يؤكد على أن هناك خللاً ما في سياستنا الثقافية.

لذا فمسؤولية إعادة بعث النادي واستعادة دوره هي مسؤولية مشتركة؛ فرغم وجود مجهودات من طرف شعب جمعية العلماء بالعاصمة لتفعيله إلا أنها تبقى ناقصة لا تتماشى وتاريخ النادي.

خاتمة:

هذا قليل من كثير ممّا يقال عن نادي الترقي الذي نأمل عودة الروح له في القريب العاجل؛ فرصيده التاريخي كفيل لجعل المسؤولين على جميع المستويات الالتفاتَ إليه وإنقاذه من الوضع المزري الذي وصل إليه، والأملُ في أن يُرمّم من طرف أخصّائيين وأن يجهز بكل الوسائل العصريّة حتى يستمر في أداء دوره الإصلاحي التوعوي لكي نحافظ عليه كمعلم تاريخي، يكون قيمة مضافة للمعالم السياحية الثقافية للجزائر.

6- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن – الطالب – ص266

7- محمد العاصمي، مشهدان عظيمان بالعاصمة، الشهاب، العدد122، بتاريخ17 نوفمبر 1927، ص 6.

بحوث ودراسات

(ابن الأثير) ثلاثة أعلام وليسوا واحداً

أبو سهل طه بن الطيب بن المحجوب الزياتـي السودانـي

يظن كثير من طلاب العلم أن (ابن الأثير) شخصيةً واحدةً، حتى إذا سمع بكتاب (غريب الحديث والأثر) وبكتاب (الكامل في التاريخ) ظنهما لمؤلفٍ واحد، والحق أن الأمر ليس كذلك، بل إن (ابن الأثير) المشهور هو ثلاثة أشخاص: أحدهما محدث، والثاني مؤرخ، والثالث أديب، وجميعهم إخوان.

ولفائدة التفريق بين هؤلاء الأعلام أردتُ أن أتحف إخواني الأحباء بتراجم هؤلاء الثلاثة، ووجه التفريق بينهما، حتى يكون الباحث والقارئ على بينةٍ من أمره، وعلى بصيرةٍ من سعيه. ولا يضل الطريق، ويخبط خبط العشواء في الليلة الظلماء. وليس القصد من ذلك الإتيان بسيرة مفصلة وافية عن كلٍّ من هؤلاء، بل المقصود إيراد ترجمة مقتضبة تفيد في التفريق بينهم، والتطويل في هذه الحالة يشتت القارئ، ومن أراد التوسع فليرجع إلى كتب التراجم، وهاك تراجم هؤلاء العلماء الأعلام.

- **الأول**: هو الإمام المحدث (أبو السعادات) المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الإربلي المعروف بـ(**ابن الأثير الجزري**)، الملقب بـ(**مجد الدين**).

1- وُلِدَ عام (445 هـ).

2 - توفي بمدينة الموصل سنة (606 هـ).

3- من مؤلفاته:(النهاية في غريب الحديث)، و(جامع الأصول في أحاديث الرسول)، و(الشافي في شرح مسند الشافعي)[1].

- **الثاني**: هو الحافظ المؤرخ (أبو الحسن) علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، الشيباني الجزري المعروف بـ(ابن الأثير)، الملقب بـ(عز الدين).

1- وُلِدَ في (جزيرة ابن عمر) سنة (555 هـ).

2- توفي عام (630 هـ).

3- من مؤلفاته:(**الكامل في التاريخ**)، و(**أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة**) و(**اللباب في تهذيب الأنساب**)[2].

- الثالث: هو الأديب الكاتب (أبو الفتح) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الكاتب المعروف بـ(ابن الأثير)، الملقب بـ(ضياء الدين).

1- وُلِدَ في (**جزيرة ابن عمر**) سنة (855 هـ).

2- توفي عام (736 هـ).

3- من مؤلفاته: (**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**)، و(**الوشي المرقوم في حل المنظوم**)، و(**المعاني المبتدعة**)[3].

- أوجه التشابه بين أبناء الأثير:

1- ثلاثتهم إخوان.

2- عاشوا في قرن واحد.

3- كل واحد منهم اشتهر بـ(ابن الأثير الجزري).

- أوجه التفريق بين أبناء الأثير:

1- الصفة الغالبة: الأول محدث، والثاني مؤرخ، والثالث أديب.

2- الاسم : الأول (المبارك)، والثاني (علي)، والثالث (نصر الله).

3- اللقب: الأول (مجد الدين)، والثاني: (عز الدين)، والثالث: (ضياء الدين).

4- الكنية: الأول (أبو السعادات)، والثاني (أبو الحسن) والثالث (أبو الفتح).

5- المصنفات: الأول صاحب (النهاية)، والثاني صاحب

(الكامل) و(أسد الغابة)، والثالث صاحب (المثل السائر).

6- تاريخ الوفاة: الأول توفي سنة (606 هـ)، والثاني (630 هـ)، والثالث (736 هـ).

وقد نظم الأخ عبد المجيد آيت عبو المراكشي المغربي أبياتاً ماتعة في ضبط هؤلاء الأعلام فقال:

ثَلاَثَـــةٌ بَنُـو الأَثِيـرِ قَـدْ سَـمَوا ... وَهُـمْ إِلَـى مُحَمَّـدٍ قَـدِ انْتَمَـوا

نَجْـلِ مُحَمَّـدِ بْـنِ شَـيْخٍ مُقْتَـدِي ... عَبْـدِ الكَرِيـمِ نَجْـلِ عَبْـدِ الوَاحِـدِ

فَمِنْهُـمُ المُـحَدِّثُ المُـبَارَكُ ... أَبُـو السَّـعَادَاتِ هُـوَ الـمُبَارَكُ

وَهُـوَ مَجْـدُ الدِّيـنِ حَـازَ الغَايَـهْ ... بِـجَامِعِ الأُصُـولِ وَالنِّهَايَـهْ

ثُـمَّ أَبُـو الحَسَـنِ عِـزُّ الدِّيـنِ ... عَلِـيُّ ذُو الأَخْبَـارِ وَالسِّـنِينِ

مُؤَلِّـفُ الكَامِـلِ فِـي الأَخْبَـارِ ... وَالأُسْـدِ لِلصَّحَابَـةِ الأَخْيَـارِ

ثُـمَّ أَبُـو الفَتْـحِ ضِيَـاءُ الدِّيـنِ ... وَهُـوَ نَصْـرُ اللهِ ذُو الفُنُـونِ

قَـدْ رَصَّـعَ المَـثَلَ فِي الآدَابِ ... إِلَـى ذَوِي الأَشْـعَارِ وَالكُتَّـابِ

فَمَيِّـزَنْ بَيْـنَ الأَسَـامِي وَافْصِـلِ ... وَاضْبِـطْ وَفَاتُهـمْ بِعَـدِّ الجُمَّـلِ

فَالعِزُّ (رَتَّـلَ) وَمَجْـدٌ (قَـدْ شَـرِبْ) ... وَلِلضِّيَـا (خِـلٌّ بَـدَا) فَافْهَـمْ تُصِـبْ

واختصرها بعضهم فقال:

بنو الأثير الذين كانوا * ثلاثة ضمهم إخاء**

مؤرخ عالم أديب * العز والمجد والضياء** (٤)

الهوامش :

(١) تنظر ترجمته في (معجم الأدباء) لياقوت الحموي (٥/ ٢٢٦٨)، و(وفيات الأعيان) لابن خِلِّكَان (٤/ ١٤١)، و(بغية الوعاة) للسيوطي (٢/ ٢٧٤).

(٢) تنظر ترجمته في:(طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي (٨/ ٢٩٩)، و(الأعلام) للزركلي (٤/ ٣٣١).

(٣) تنظر ترجمته في:(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي (٢١/ ١٧٩،١٨٠)، و(تاريخ الإسلام) للذهبي (١٤/ ٢٥٨)، و(الوافي بالوفيات) للصفدي (٢٧/ ٢٤).

(4)أنظر :(كشكول ابن عقيل) لعبد الله بن عبد العزيز بن عقيل (ص: ٩٨).

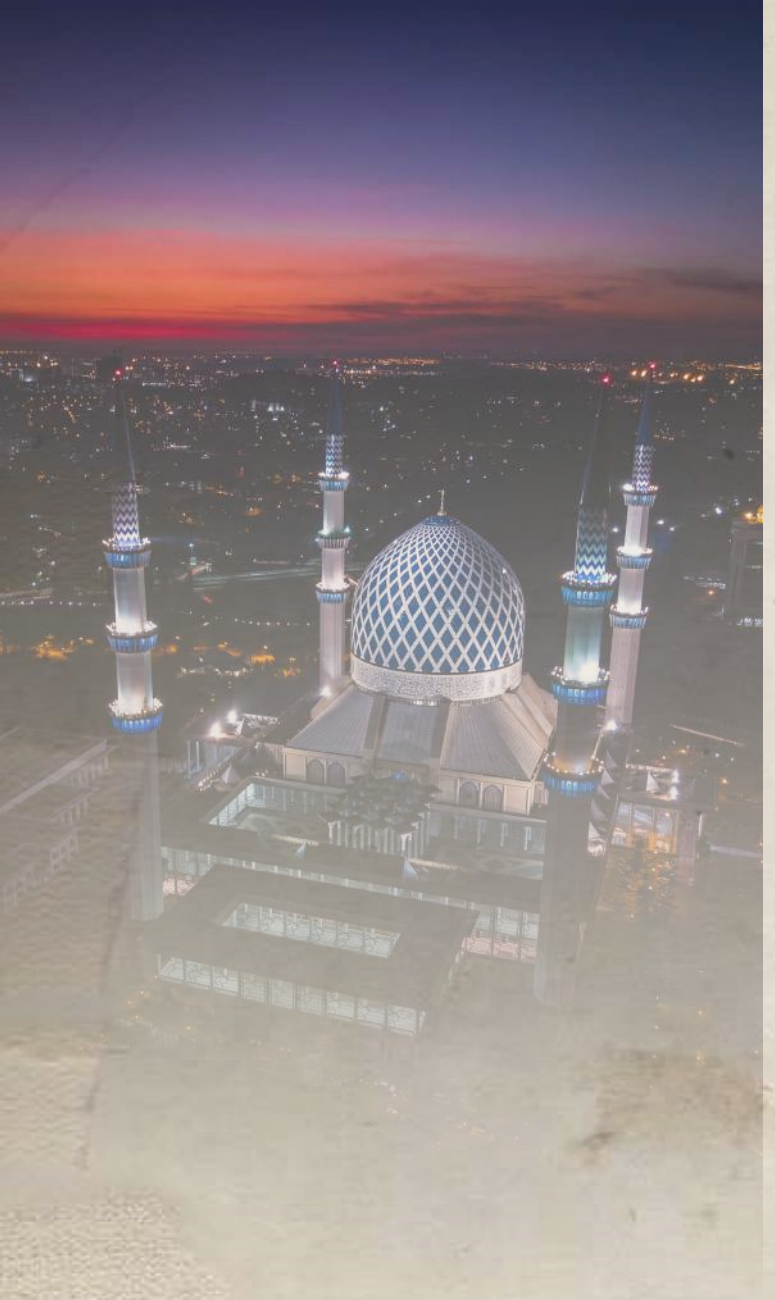

الجَمَالُ الرُّوحِيُّ في الإِسْلَامِ

خالد برادة

المغرب

لا يستطيع الإنسان أن ينطلق في الحياة بدون رؤية واضحة، ولن تتضح أمامه إلا بالاهتداء بنور الإسلام الوضّاء، الذي ينشر تباشيره ليخرج الناس من دياجير الظلام، إلى أنوار الإيمان؛ وقد عُنِيَ الإسلام بتقويم الإنسان وتربيته، حتى يستقيم على طاعة الله تبارك وتعالى، وينهل من أشواق الروح، رغم انجذاب المادة.

وليس من شك في أن المادة والروح سرٌّ من أسرار الخالق تبارك وتعالى، وقد شاء سبحانه أن يخلق بني آدم منهما؛ فإذا أردت تريد تفسيرا للجمع بين النقيضين لأعياك ذلك؛ لأن العقول سرعان ما ستعجز عن إدراك كنه ما يعتمل في الإنسان، بين مادة تجذبه إلى الأرض، وروح تعتلي به إلى عَنان السماء؛ وقد أبت الروح أن تذعن لمن يريد أن يُلمَّ بالعلم بها، لأن بارئها استأثر بها -وحده- علما، فهو القائل سبحانه ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾ (سورة الإسراء: 85).

جمال الروح سِرٌّ من أسرار الخالق تبارك وتعالى

يعد جمال الروح سرا من الأسرار، وأشواق ذاك الجمال الروحي في عالم الملكوت -الذي يُفصح عن قدرة الخالق الذي لا يموت- تتيح للمرء المعرفة الربانية؛ والتدرّج في مقام الإحسان؛ فتصفو النفس، وتنهل من التزكية ما تنال، في طاعة الله العزيز المتعال.

وإن الجمال في عالم الروح لهو أثر من آثار معجزة الله الباقية التي تدلُّ عليه، فيتذوق المؤمن لذة العبادة في رحابها، مما يدفع إلى التفكير، ويحمل على الاتعاظ، ويبعث على الاطمئنان، وازدياد الإيمان؛ فجمال الروح سِرٌّ من الأسرار، فهو محفّزٌ على التأمل العميق، للفهم الدقيق

لخبايا الروح، ومع ذلك فهي تبقى آية الإعجاز، وسبحان الله الخالق البارئ الذي استأثر بالعلم بها، وحسبنا أن تحلّق بنا الروح نشوى إلى بارئها؛ فالروح تزيد صاحبها الذي هرع إلى الله تعالى اشتياقا إلى عالمها النوراني، فهي تسموا بصاحبها الذي زهد في الحياة الدنيا، وأقبل على الله جل في علاه.

أهمية الروح في إدراك المعرفة

إن العلم الذي يُدرَكُ بالعقول البشرية قليل جدا، والعقل قاصر على الإحاطة بالمعرفة الحقيقية؛ ومهما علم الإنسان بعقله شيئا فإنه يظل غير عالم، مصداقا لقول الله تعالى ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾ (سورة الإسراء: 85)؛ ومع ذلك يتبجّحُ المغرضون بأنهم يجارون الخالق فيما خلق، ولكن ضآلة علمهم، وقصورهم لم يسعفهم في خلق شيء تعتلي فيه الروح، وتكون له إرادة مستقلّة؛ لأنه محال أن يحيط النسبي بعلم الله المطلق، بلْهَ أن يجاريه في علمه، أو يحاكيه في خلقه.

ومعلوم أن المعرفة الحقيقية لا تُدرَكُ بما هو ملموس فقط، كما هو شأن الماديين الذين وأدوا أرواحهم في بيوت أجسادهم التي خربوها، فجعلوها أسيرة في سجن هواهم، ونسوا أو تناسوا عالم الغيب، الذي هو دليل على صحة الإيمان، قال الله تعالى ﴿**ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ (سورة البقرة: 1، 2).

وليس هناك طريق إلى هذه المعرفة اللاحبة إلا بالاستعانة بعالم الروح، الذي يُحرر المرء من عقال المادة، ليعرف بارئه حق المعرفة، ووسيلته في ذلك هو الطريق القاصد إلى الله تعالى، وإذاك تتوهّج إشراقات الروح، فتنسكب فيوضات الفهم من لدن الله تعالى على عبده؛ وإن هذا الفهم الذي يناله بالكشف والإلهام، أنّى أن تترجمه الأقلام، أو أن تحيط به الأفهام؛ لأن السواد الكثير من الأنام، لم يرتقوا إلى إدراك مفاتيح الفهم؛ ونورد مثالا على ذلك بالإمام أبي حامد الغزالي (ت 505هـ)، الذي أبت أشواق روحه إلا أن تنتصر على مطالب جسده، فكان في خلوة مع الله تبارك وتعالى زُهاء عشر سنين، بعد أن هجر الأموال، إلا بقدر ما يحتاجه العيال؛ فاسمع إليه وهو يقول «وفرّقتُ ما كان معي من المال، ولم أدخر إلا قدر الكفاف، وقوت الأطفال»[1]؛ وقد كان هذا صدى لنفسه التي أعلنت اتخاذ الزهد مذهبا لها؛ فلما ناجى ربه وصافاه، فُتح له الباب، وزال عنه الحجاب؛ فانسكب عليه الإلهام، وفاز بالمعرفة الحقيقية؛ وهي المعرفة التي لا تُدركها كافة العقول، لأن لها لغة خاصة؛ تقوم على دلالات وإيماءات لا يدركها إلا من ذاق مواجيد الصوفية؛ ولذا نصح الإمام الغزالي كل سالك إلى الله تعالى بصفاء روحه، إن فتح له علاّم الغيوب بشيء من معرفة القلوب، ألاّ يفصح عنها خشية أن يُتَّهم من لدن من لا يفقه في لغة الكشف والإلهام شيئا، لأن قلوبهم عن أسرار المعرفة محجوبة؛ وحسبه أن يُردّد معه ما قاله لهم: عرفتُ ولستُ أدري ماذا عرفت؟؛ وفي حقيقة الأمر أنه عرف من الله ما لم يعرفوا، فخشي أن يبوح لهم بما لن تعيه عقولهم، لابتعادهم عن موئل المعرفة الربانية؛ ولأنهم افتقدوا الذوق المصفّى الذي يُرتكز عليه في إدراك أسرار جمال الروح؛ فلذا أحجم عن البوح لهم، مما أوحت به الروح الصافية، التي لم تعكرها شوائب المادة، وهو ما أسماه بالمكاشفة، وهي من العلم الذي لا يُحاط به إلا بفتح من الله تعالى؛ فمفتاح الوصول إلى المعرفة الربانية هو الذوق والإلهام، بالاستمداد المباشر من الله عز وجل.

وإننا في حاجة ملحّة إلى أن نستروح عالم الجمال الروحي، لننفض عن كاهلنا وطأة الحياة الدنيا التي تعلقت بها النفوس، فلم تستطع عنها فكاكا؛ والمخرج كامن في التمسك بحبل الله تعالى القويم، فالله هو خالق الأنفس، وهو الخبير بخباياها، وما يعتمل فيها من خير وشر؛ فسبحانه من إله ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**﴾ (سورة غافر: 19).

1- انظر: المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، أبو حامد الغزالي، ص ١٤٤.

ابن الخطاب وابن عرضون !

أسامة حسين حامد -مصر-

أما ابن الخطاب فهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه وهو غني عن التعريف، وأما ابن عرضون فهو أبوالعباس أحمد بن الحسين بن عرضون، تصفه كتب الرجال بأنه الإمام العمدة والفقيه الموثق والقاضي العادل، تولى القضاء فى مدينة شفشاون بشمال المغرب فى أواخر القرن السادس عشر الميلادي، ورغم أنه قد فرقتْ بينهما في عمر الزمانِ عدةُ قرونٍ فقد جمعتْ بينهما دعوة الداعين إلى ضرورة إعادة النظر في ميراث المرأة في الشريعة الإسلامية !!! فهم يستشهدون برواية لعمر بن الخطاب ويربطون بينها وبين فتوى لابن عرضون للتدليل على صحة ما يذهبون إليه، أما عن رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه فملخصها: أنه فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب توفي عمر بن الحارث الذى كان زوجاً لحبيبة بنت زريق، وكانت حبيبة نساجةً طرازةً، وكان زوجها يتاجر فيما تنتجه وتصلحه حتى اكتسبا من جراء ذلك مالاً وفيراً، ولما مات الزوج وترك المال والعقار فإن أولياءَه تسلموا مفاتيح الخزائن، إلا أن الزوجة نازعتهم فى ذلك وحين اختصموا إلى عمر بن الخطاب فإنه قضىٰ لها بنصف المال وبالإرث فى الباقى، وقد اعتبر مؤيدو ابن عرضون أن ما أقدم عليه خليفة المسلمين يعد سابقة يمكن القياس عليها فى استنباط حكم جديد يحقق العدل والإنصاف ضمن أحكام المواريث المقررة فى النصوص القرآنية!!!(كذا)، فقد كان ابن عرضون يرىٰ أن كفاح المرأة وكدَّها أثناء الزواج ينبغي أن يوضع فى الحسبان بعد (الطلاق) أو (الوفاة)، لذلك فلها أن تحصل على نصف ثروة زوجها التى حققها أثناء ارتباطه بها وبعد ذلك تأخذ نصيبها من الميراث فى حالة وفاة الزوج وهي الفتوىٰ التى أسست لما عرف بحق «الكدِّ والسعاية».

أمَّا أنا فلَمْ أدرسْ الفقه ولم انتسب يوماً لإحدىٰ كليات الشريعة، ولذلك فلن أتجرأ علىٰ الخوضِ في شريعة اللّٰه بغير علمٍ وإنما هي أفكارٌ وملاحظاتٌ وتساؤلاتٌ أضعها أمامَ أهل العلم لينظروا فيها، فإن كنت قد أصبت فَلِلّٰه الحمد والمنة، وإن أخطأت فحسبي أنه خطأ المحب لدينه المتمسك بشريعته أو هكذا أزعم.

إنني حين أسمع أو أقرأ ما يقوله الداعون إلىٰ ضرورة إعادة النظر في ميراث المرأة في الشريعة الإسلامية بل ويستشهدون على ذلك بهذه الرواية التي رويت عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه فإنه يغلب علىٰ ظني أن الفاروق رضي اللّٰه عنه لو كان حياً وسمع مقالتهم هذه لأنكرها عليهم إنكاراً شديداً، وحجتي في ذلك أن استشهادهم بهذه الرواية هو استشهادٌ في غير محله بل أزعم أن هذه الرواية دليلُ يدحض رأيَهم من حيث أرادوا هم أن يُثْبِتوه، وفي ذلك دليلٌ آخر على أنهم قد استشهدوا بروايةٍ تناولوها في عجالةٍ، وَغَرَّهُمْ فيها الحكمُ الذي قضىٰ به الفاروق؛ فلم يتبينوا حقيقة الواقعة ذاتِها، فكانوا كالغريق إذا تشبث بقشةٍ يراها من شدة اضطرابه ولهفته لوحاً من الخشب فيه نجاته، ولبيان ذلك أقول وباللّٰه التوفيق: تعالَ معي نُحلِّلُ هذه الرواية إلىٰ عناصرها الأساسية، فسنجد الآتي:

1 - حبيبة كانت (نساجةً طرازةً).

2 - كان زوجها (يتاجر) فيما (تنتجه وتصلحه).

3 - أنهما (اكتسبا) مالاً وفيراً.

4 - بعد وفاة الزوج فإن الزوجة وأولياء الزوج (تنازعوا فاختصموا) إلى عمر .

5 - أن عمر رضي الله عنه (قضىٰ) لها (بنصف المال) و(بالإرث) في الباقي.

تأمل معي هذه العناصر الخمسة، وقل لي بربك:

- بعد أن تقرأ العنصرين 4 و 5 جيداً، هل يساورك أدنىٰ شكٌ في أن ما قال به عمر بن الخطاب كان (حكماً) وقد (قضىٰ) به بين خصمين في (قضيةٍ) عُرضت عليه، ولم يكن بأي حال من الأحوال(تعديلاً) في أحكام المواريث؟

- إذا مددت العناصر1 و 2 و 3 على استقامتها، هل يمكن أن تستنتج أي معنى أو تفسير أو تأويل آخر سوىٰ أنَّ المال الذي اكتسبه الزوجان كان نتيجة لشركة فعلية كانت قائمة بينهما وهي(شركة واقع)[1]؛ فالزوجة كانت مهمتها أن (تخيط وتطرز) والزوج كانت مهمته أن(يتاجر، فيبيع الانتاج ويحصل الثمن)؟

- ألا يؤكد نص (الحكم) الصادر عن أمير المؤمنين علىٰ أنه ليس (تعديلاً) لأحكام المواريث، لأنه لو كان تعديلاً لأحكام المواريث لأكتفى الفاروق بإعطاء الزوجة نصف المال - أو أكثر أو أقل - كميراثٍ (مُعَدَّلٍ)؟

- ألم يكن ما (قضىٰ) به عمر رضي الله عنه في حقيقة الأمر أنه أعطىٰ الزوجة نصف المال لا (كنصيبٍ في التركة) ولكن (كحقٍ في الشركة) التي انقضت بموت (شريكها) في الشركة، ثم أعطاها بعد ذلك نصيبها الشرعي كزوجة في باقي تركة (زوجها)؟

- هل سمعنا أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أصدر أوامره بعد هذه القضية بأن ترث النساءُ - جميعُ النساءِ - نصفَ ما يترك أزواجهن بعد وفاتهم؟

أما عن ابن عرضون -رحمه الله وغفر له ورضي عنه- فقد كان له رأي يفتي به على نحو ما ذكرتُ آنفاً، وأحسب أن تفنيد الاستشهاد برواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الوجه الذي أسلفنا فيه ردٌّ كافٍ علىٰ مؤيدي فتوىٰ ابن عرضون ومع ذلك فالملاحظ أن فتوىٰ ابن عرضون قد استحدثت أمرين جديدين:

أولهما: عموم الفتوىٰ؛ لأن فتواه حسب رأيه تطبق على جميع النساء في عصره لأنهن جميعاً في الكدِّ والكفاح سواءٌ، وبمعنى آخر هي فتوىٰ صريحة (بتعديل) نصيب المرأة في ميراث زوجها المنصوص عليه في الشريعة الإسلامية.

والثاني: إعطاء المرأة نصيباً من ثروة زوجها في حالة الطلاق أيضاً.

والسؤال هنا: هل أصاب ابن عرضون في هذه الفتوىٰ فاستحق أجرين أم أنه قد قُضِيَ له فيها بأجرٍ واحدٍ؟ إجابة هذا السؤال لايعلمها إلا الله تعالىٰ، كما أنه لا يجوز أن يتصدى لنقد أراء العلماء المجتهدين وفتاواهم وبحث مدىٰ صحتها أورُجحانها إلا نظراؤهم ممن استَوْفَوْا شروط الاجتهاد، ولكن أليس من حق المسلم الذي ليس مجتهداً ولا فقيهاً ولم يدرس الفقه أن يطرح الأسئلة الآتية على مؤيدي رأي ابن عرضون:

1 - هل كفاح المرأة وكدِّها مع زوجها أثناء الزواج أمرٌ مستحدثٌ في الأسرة؟ وهل هذا الكد والكفاح لم يكن معروفاً إبان نزول الوحي بتشريعات الميراث؟ ألمْ يكن هذا هو شأن الزوجات مع الأزواج قبل الرسالة وقبل الوحي؟ ألم يكن هذا هو شأنهن أثناء الرسالة والوحي يتنزل علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وسلَّم بأحكام الميراث؟ فهل تقولون أن هذه الحقيقة كانت غائبةً عن علم الله عزَّ وجلَّ وهو يُحكِمُ آياتِه في المواريث؟

2 - بخلاف القياس على ما قضىٰ به عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الرواية المذكورة عنه، ما هو الأساس الذي بنىٰ عليه ابن عرضون مقدار النصيب الذي أفتىٰ به للمرأة -كل مرأة- وهو النصف من ثروة زوجها بخلاف نصيبها في التركة حال وفاته؟ ولماذا النصف بالذات؟ ولماذا لا يكون الثلث مثلاً أو الثلاثة أرباع؟ بمعنى آخر كيف تم تقييم هذا

الكد وذلك الكفاح؟ وهل هذا النصيب يمكن أن يتباينَ من امرأةٍ لأخرى زيادةً أو نقصاً أوحتىٰ انعداماً على حسب مقدار (كدِّها) و(سعيِها) و(كفاحِها) مع زوجها؟

3- إذا كان سعي الزوجة وكدها وكفاحها هو مما يعتد به عند ابن عرضون في إثبات نصيب للزوجة في ثروة زوجها التى حققها أثناء ارتباطه بها فبماذا يمكن أن نفسر أن الشرع حين أعطىٰ الزوجة الربعَ مما ترك زوجها المتوفىٰ إن لم يكن له ولد، فإنه قد قلَّلَ هذا النصيب بمقدار النصف فجعله الثُمن في حال أن كان له ولد[2]؟ على الرغم من أن كدَّ المرأة وسعيها وكفاحها مع زوجها يُفترَضُ أن يكون أكبر وأعظم في حال وجود الولد، مما كان يستدعي أن يُفرضَ لها نصيبٌ أكبرُ قياساً على منطق ابن عرضون، ولكنها شريعة اللّٰه المُحكَمَةُ، فهيهات أن يصل العقل والرأي إلى الحكمةِ المستقرة فيها، وعن هذا المعنىٰ يقول علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه:

«لو كان الدين بالرأي لكان أسفلُ الخف أولىٰ بالمسحِ من أعلاه، وقد رأيت رسولَ اللّٰه صلَّىٰ اللّٰه عليه وسلَّم يمسحُ علىٰ ظاهر خُفَّيْهِ»[3].

وأخيراً، فإني أحسب أن الداعين إلى إعادة النظر في نصيب المرأة في الميراث في الشريعةِ الإسلاميَّةِ قسمان: القسم الأول مسلمون مخلصون ولكنهم يرون الإسلام والشريعة الإسلامية يتعرضان لضغوطٍ هائلة تمارسها جهاتٌ شتَّىٰ، وهم يشفقون على الدين وعلى أنفسهم من قسوة تلك الضغوط ولذلك فهم يحاولون تخفيفها، وفي سبيل ذلك فهم لا يجدون وسيلةً أقربَ ولا أيسر من أن يبحثوا في كتب الشريعة عن مخارجَ يحاولون أن يثبتوا بها للناقدين أن الشريعة الإسلامية فيها من المرونة ما يجعلها قادرةً على مواكبة العصر، ولكن للأسف هم في سبيل ذلك ينظرون إلى كتب الشريعة وحدها فيسهل عليهم أن يتأولوا، ويغيروا ويبدلوا، وقد كان الأولىٰ بهم أن يفكروا مع كتب الشريعة في صاحب الشريعة [4].

أما الصنف الثاني فهم مسلمون أيضا ولكنهم يَتَبَنَّوْنَ نفس الرؤية الناقدة الرافضة للشريعة ككل، ويقفون مع الناقدين والرافضين في نفس المربع كتفاً بكتف وحذاءً بحذاءٍ.

والسؤال الأهم الذي سأختم به وأوجهه لهؤلاء وأولئك:

إذا كان الفقهاء يؤكدون علىٰ أن في القرآن الكريم نصوصاً وصفوها بأنها(قطعية الثبوت وقطعية الدلالة)، فهل يمكن أن نعتبر أنها بالفعل كذلك وستظل كذلك؟

---

[1] شركة الواقع في القانون هي الشركة التي تقوم بين أشخاص طبيعيين دون استيفاء إجراءات الانعقاد أو الإشهار.

[2](وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ ۚ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ)(سورة النساء من الآية ١٢).

[3] أخرجه أبو داود بإسناد حسن.

[4] هذا المعنى مقتبس من #الرافعي.

إلا رسول الله

محمد صلى الله عليه وسلم

مُبَاحَثَةٌ بين جبلين كبيرين في اللغة حول مشروعية استعمال عبارة:(إلا رسول الله)

عمر بن أحمد ندا براهيم المغربي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾. [آل عمران:١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾. [النِّساء:١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾. [الأحزاب: ٧٠-١٧].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار [1]. وبعد:

فهذا جزء [2] مختصر نافع -إن شاء الله- ضم بين جوانحه مباحثة لغوية بين جبلين كبيرين في اللغة حول مشروعية استعمال عبارة:(إلا رسول الله)، في الكتابات العلمية والعناوين البحثية المتداولة على النت وغيرها، وحتى لا أطيل في إيراد دواعي الجمع والتعليق، أدلف إلي المقصود فأقول وبالله التوفيق:

ففي مجموعة (مؤسسة ابن تاشفين) على تطبيق (واتساب) فتح نقاش حول مشروعية استعمال عبارة:(إلا رسول الله).

ونقل أحد الباحثين عن الشيخ محمد بازمول قوله:»تتابع كثير من الناس على استعمال هذه العبارة للدفاع عن نبينا محمد ﷺ، وجعلوها شعاراً لمقاطعتهم الدول التي وقفت مع من أساء إلى نبينا محمد ﷺ.

ولا شك في حسن قصد من استعملها وأطلقها، ولكن هذه العبارة من حيث معناها فيها إشكال، وهو أنه ذكر فيها المستثنى ولم يذكر المستثنى منه .

وعلى أي تقدير للمستثنى منه، كون معنى العبارة غير مستقيم، فإن ظاهرها أننا نقبل أو نسكت عن الإساءة إلى أي شيء إلا رسول الله ﷺ وهذا المعنى باطل، فإننا لا نقبل ولا نسكت على الإساءة إلى الله تعالى، ولا إلى القرآن، أو الإسلام، أو أحد من الأنبياء والمرسلين، أو الملائكة، أو الصحابة ڤ، أو أمهات المؤمنين، أو إخواننا المؤمنين، فظهر بذلك أن معنى العبارة غير صحيح، وهو ما جعل بعض علمائنا [3] يفتون بأنها غير جائزة .والله تعالى أعلم« .

وسئل الشيخ عبد المحسن العبَّاد حفظه الله:»عن تعليق عبارة (إلا رسول الله) .

فأجاب: أما (إلا رسول الله) فهذا كلام غير صحيح؛ لا بد أن يؤتى بالمستثنى منه ولا شك أن الإساءة لله تعالى أعظم من الإساءة إلى رسول الله ﷺ فهي عبارة غير مستقيمة، ولا تصح«[4].

فقال المدير العلمي للمؤسسة الأستاذ الدكتور عادل بن المحجوب رفوش المراكشي [5] حفظه الله ومتع به:» مع احترامي وتقديري الكبير لقائله بارك الله فيه وأجزل مثوبته. غير أنه – في حُسْباني- كلام غير تَمامٍ وتكلف ظاهر؛ يذكرني ببحث بلاغي ينكر فيه بعضُ من ضاق صدره قول

القائل:»أنبت الربيع البقل«؛ فقال:»إنما المنبتُ الله« .
وقد أنكر عليهم العلماء كافة إلى درجة الاستهزاء بنحو هذا الفهم؛ وردوا تكلفهم كما ذكره السيوطي في العقود وغيره .. ومثله صيغٌ بلاغية عديدة ..
وهذا النوع من التكلف غالباً ما يكون عند من ينظر من زاوية واحدة وليست له سَعةٌ في المعارف المتنوعة وخاصة علوم العربية وسعتها؛ فينكر ما لا يستحق إنكاراً ويتشدد حيث الرخصة ظاهرة أو مستحبة ..
وهذا التعبير (إلا رسول الله) لا يعدو أن يكون نوعاً من أنواع القصر غرضه الاهتمام الشديد؛ وهذا من البلاغة المستحسنة؛ وهو كثير في القرآن كما هو مشهور في مبحث:﴿وما محمد إلا رسول﴾.
بل ألف بعض علمائنا المغاربة في هذه الآية خاصة لذكر ما تنطوي عليه من التشريف لرسول الله تصريحاً وتلميحاً؛ وذكروا أنه ليس معناه: أنه ليس عبداً ولا بشراً؛ بل السياق يقتضي التنويه بمقام الرسالة فقُصر الخطاب عليه تركيزاً وتذكيراً ... وقِس على ذلك ..
وأما حذف المستثنى فلا يضر للعلم به؛ وهذا شائع معروف؛ بل هو هنا أبلغ ليذهب السامع فيه كل مذهب وذلك أبلغ؛ ومثله قول القائل:(إلا صلاتي) و (إلا عرضي) و (إلا الوطن) ونحو ذلك .. وأما التعليل بكون الإساءة إلى الله تعالى أعظم؛ فهذا تحصيل حاصل؛ لأن مقتضى الشهادة هو التلازم بين تعظيم الله وتعظيم رسوله طرداً وعكساً ..
وهذا بدهي معروف عقيدةً وعربيةً؛ فلا داعي للتشديد في غير محله وخاصةً أن بعض إخواننا وشيوخنا في المشرق عندهم نوع تضخم في بعض مسائل التوحيد تسيء إلى الأصل ولا تفيد في تحقيقه ولا تجريده كما يراد ..
وجزاهم الله خيراً على غيرتهم وحسن نيتهم ... والله تعالى أعلم .
فقولوا بلا حرج بل بكل غيرة واعتزاز:(إلا رسول الله) واملؤوا بها الآفاق. فقال أُستاذنا الدكتور الأديب الأريب **البشير عصام المراكشي** [6] حفظه الله ومتع به معلقاً: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، كنت قد سئلتُ عن عبارة (إلا رسول الله)؛ فأجبتُ بما معناه:»لا أرى استعمالها وإن كان مقصود أصحابها حسنا، لأن ظاهرها يقتضي أنه لا بأس بالتعرض لمقدسات أخرى .. « . ثم أطلعني بعضهم على كلام لأحد العلماء الأفاضل [7]، جزم فيه بصحة العبارة، واستدلّ بأمور من علوم العربية. فاحتاج الأمر مني إلى توضيح، أجعله على محاور:
-المحور الأول: عن الحصر والاستثناء.
ذكر هذا العالم الفاضل والأخ العزيز، أن هذا التعبير:»لا يعدو أن يكون نوعاً من أنواع القصر غرضه الاهتمام الشديد« .
ولي مع هذا وقفة تأمل، وذلك أن العبارة المذكورة فيها أداة استثناء، وليس كل استثناء حصراً كما هو معلوم. بل الحصر في اصطلاح البلاغيين (ويسمى قصراً أيضا)، يكون إذا كان الكلام ناقصاً، ومعتمدا على نفي أو شبهه، كما في كلمة الإخلاص.
وظاهر المراد بهذه العبارة باعتبار سياق الواقع الذي ظهرت فيه، هو:»سبَّوا كلَّ أحد إلا رسول الله« . وذلك أن العبارة قيلت بعد انتشار الرسوم المسيئة لخير البرية ﷺ فقام الناس يتنادون بالنصرة الواجبة، مع حمل هذا الشعار.
ومثلها قول القائل (إلا صلاتي)، فإن مقصوده:»أُهملُ كلَّ شيء إلا صلاتي«.
والكلام في العبارتين مثبت تام، فلا يكون من صيغ الحصر الاصطلاحي (إلا إن أريد المعنى اللغوي العام، فيصح أن يجعل كل استثناء حصراً بهذا الاعتبار) .
-المحور الثاني: في بيان المحذوف.
ورد في كلام أخينا الشيخ الفاضل قوله:»وأما حذف المستثنى فلا يضر للعلم به«. وفي هذا الكلام نظر، أولاً لأن المستثنى مذكور غير محذوف، وإنما المحذوف المستثنى منه (ولعله سهو من الشيخ حفظه الله)، وثانيا: لأن المحذوف هنا هو المسند والمسند إليه معًا، لا المستثنى منه وحده! فليس البحث في أغراض حذف المستثنى منه، بل في أغراض حذف المسند والمسند إليه معاً، سواء أكانا فعلا وفاعلا، أو مبتدأ وخبرًا. ومثاله الإتيان بحرف التصديق مجرداً، كما في قول القائل:(نعم) جواباً لمن سأل: (أقام فلان ؟) أو (أزيدٌ قائم ؟).
والحال أن حذفهما معاً، لا يجوز إلا بدليل يدلُّ عليهما، ويمنع الالتباس. وهذا يجرنا إلى:
- المحور الثالث، وهو: بلاغة الحذف.
لا يرتاب عالم بالعربية وأساليبها، أن الحذف من أرقى مقامات البلاغة فيها، بل هو من (شجاعة العربية) في اصطلاح ابن جني[8]. لكنه لا يكون إلا عن دليل، وإلا (كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته) كما يقول تلميذه الفارسي في خصائصه.
والحذف نوع من الإيجاز، إنما يلائم أهلَ الفطنة والذكاء، وينبو عن مواطن البلادة والغباء. ولذلك، كان الإطناب هو المناسب – في عرف البلاغيين – لخطاب العامة، ولا يصح مخاطبتهم بالإيجاز المفضي إلى الإبهام والتلبيس.

وهذا يذكّرني بأن المجاز المرسل الذي مثّل به الشيخ الفاضل في قول القائل (أنبت الربيعُ البقل)، قد لا يناسب مخاطبة العامة به، إن خيف أن يفهموا منه حقيقة اللفظ. وأستحضر هنا القصة التي نقلها ابن الجوزي، قال:»حكى إسحاق بن إبراهيم قال: حضرت جنازة لبعض القبط، فقال رجل منهم:(من المتوفّي) (9)، فقلت: (الله). فضُربت حتى كدت أموت ! «. والمقصود التنبيه على التفريق بين مقامات الخطاب، على حسب أحوال المخاطبين. وهل البلاغة إلا ذلك ؟!

- المحور الرابع: في قوله تعالى:﴿وما محمد إلا رسول﴾.

ذكر الشيخ الكريم قوله تعالى (وما محمد إلا رسول)، تشبيها للعبارة محلّ البحث بها.

والحق أن الآية المذكورة ليست من بابة ما نحن فيه، فهذا أسلوب حصر إضافي لا حقيقي، بصيغة النفي والاستثناء، من باب قصر الموصوف على الصفة، وتوجيه معناه:(النبي ﷺ مقصور على الرسالة، لا يتعداها إلى البراءة من الموت كما ظنه المخاطبون). فيصح أن يكون من باب قصر الإفراد، لأن المخاطبين ظنوا أنه رسول وسالم من الموت، فقصرت الآية الكلام على أحد هذين المعنيين، نفيا للمعنى الآخر. وتحتمل الآية – كالمعهود في آيات القرآن الكريم المعجِز ببلاغته – توجيهات بلاغية أخرى.

فلا حذف في الآية، إلا حذف المستثنى منه على سبيل الاستثناء المفرّغ، المعتمَد في أسلوب الحصر بالنفي والاستثناء. أما عبارتُنا، فالمحذوف منها أكثر من المستثنى منه – كما سبق بيانه !

-المحور الخامس: النظر الواقعي.

من المقرر عند الأصوليين أن الفتوى في النوازل لا يمكن أن تتجرد عن معرفة الواقع، ليحسن تحقيق المناط.

ودلالة الواقع في هذه النازلة ترشد إلى لَبس شديد عند كثير من المتحدثين بهذه العبارة. وذلك أن العبارة بدأت بعد قضية الرسوم المسيئة في أوروبا – كما سبق ذكره – وواقع الحال أن الصحف والمواقع الغربية طافحةٌ منذ عقود بالإساءات البالغة، بالرسم الكاريكاتوري وبعموم الإبداع الفني وبالطرائف المضحكة وبغير ذلك، للخالق جل جلاله، وللأنبياء عموما – خاصة المسيح عليه السلام – وللملائكة واليوم الآخر والكتب السماوية وغير ذلك من الشعائر. ولولا حرصي على عدم نشر هذه المنكرات والترّهات، لمثّلتُ بأمثلة كثيرة جداً، لا تكاد تنحصر. بل إن الخطاب اليومي المنتشر عند الغربيين، لا يرى غضاضة في ذلك كله، والواقع شاهد! فتحرّكُ المسلمين في خصوص قضية رسول الله ﷺ – وهو تحرك محمود مطلوب – يؤكد ما قرّرتُه آنفا في تقدير اللفظ المحذوف، ويؤكد أن اللبس حاصل حقا في أذهان كثير من عامة الناس، بل من بعض خاصتهم؛ وإن كانوا لا يلتزمونه عند التذكير والمناقشة.

وهذه الحركة، مع الشعار المرفوع لها، يقوّي اللبس في أذهان الغربيين أنفسهم، فإنهم يعتقدون منذ قرون أن الإسلام دين محمدي (Religion Mahométane)، وضعه النبي محمد ﷺ، وأنه مؤلف القرآن، وأن المسلمين لا يؤمنون بغيره من الأنبياء والكتب؛ فلا مقدسَ عندهم إلا نبيهم محمد ﷺ !

وهذه الأصناف من الالتباس والإبهام، تقتضي من الخاصة من العلماء وطلبة العلم وأهل الفكر: التوضيح والبيان، لا الحذف والإبهام.

-المحور السادس: تنبيه لا بد منه.

بعد تقرير ما سبق، فإنني لا بد أن أذكّر أن هذا كله مندرج في باب التوضيح العلمي الموجه لخاصة طلبة العلم، وأنني لا أرى أن ينشغل عامة الناس بهذا النقاش العلمي - الذي غايةُ المخطئ فيه مخالفةُ الأولى في التعبير - عن الأهم الأجدر بالعناية والحرص، وهو نصرة الحبيب ﷺ، بالوسائل المشروعة المتاحة في عصرنا. ومن المعلوم أن عقيم الجدل، المثبطَ عن السعي والعمل، آفة خطيرة يستعاذُ منها. والله الموفق.

فقال الدكتور عادل رفوش المراكشي حفظه الله ومتع به:»جزاك الله خيراً فضيلة الشيخ الحبيب، أطلعني

بعض الإخوة على جواب كريمٍ من فضيلة الشيخ الكريم أخي الحبيب الأريب الأديب البشير عصام المراكشي حفظه الله ورعاه على كلمة عابرة لنا في التنبيه على جواز عبارة (إلا رسول الله) وأنها من بليغ الكلام وهو ما سنزيد تقريره في رسالة خاصة بحول الله تعالى .. حينما تضع الحرب أوزارها ونعود غانمين بحول الله إلى رحالِنا .. - لتبقى نُزهةً بيننا في نوافلِ الحراكِ العلمي- على هامش تحقيقنا لرسالة أحد علماء فاس حول مباحث (وما محمد إلا رسول)، هي من إصدارات مؤسسة ابن تاشفين قريباً بحول الله تعالى ...

ولم أكن أعلم بأنه جزاه الله خيراً تكلم فيها فالذي علمتُ هو من ذُكِر في سياق الجواب من المشارقة ..

ولكيلا ننشغل كما نبه حفظه الله تعالى عن الأصل والمضمون وهو آكد وأوجب وأهم؛ ولنحترز في مثل هذه الجزئيات التي كثيراً ما تظهر في أوقات يكون الناس أحوج إلى التقوية والتسديد والتخفيف؛ فتأتي نحو هذه الملاحظات من بعض الفضلاء الأتقياء الصلحاء كفضيلة الشيخ على قصدٍ من التوسع العلمي والغيرة للعربية وفصيحها بل وأفصحها أحياناً؛ فينفخُ فيها من يهون من تلك الحملة أو يوقع الإشكال في شعاراتها لينشغل الناس ولو جزئيا بها ويضطربون بسببها وقد يتنازعون .. وهو ما يجعلنا نرفض بعض المواقف ونحتمل بعض السائغ ولو ضعيفاً ...

وعليه فنؤكد باختصار أن :

- (إلا رسول الله) عنوانٌ ..
- والعنوان يتطلب فيه الإيجاز والحذف هنا سائغ ..
- وما يُتخوَّف ليس متعينا ولا وارداً ولا حرِجاً ..
- والسياقُ سببُ نزولٍ وليس مقيداً للمنزَلِ ..

وإذا كان صريح قولك (اصنع ما شئتَ) كما في الحديث وقولك (افعلوا ما شئتم) كما في الآية لا يفيد إلا التهديد أفلا يفيده ما ليس صريحاً في ذلك بحيث لو قال قائل افعل ما شئت إلا أن تسب رسول الله لما فهم منه إلا التهديد وليس إباحة ذلك فضلاً عن تقديره صريحاً في الكلام ...

- وأما قولنا المستثنى فظاهر أن (منه) سقطت فقط ..

وإنني لأشكر ثانيةً فضيلة الشيخ الجليل على كلمته الفياضة علماً المليئةِ حباً وأدباً وذلك عهدنا به إفادةً وترتيباً وهو ما نبادله إياه سنة ومودة وأبداً .. وليعذرني على هذا الجواب السريع فهو عندي غير لائق بالواجب لأخي الشيخ الفاضل البشير وأرجو أن يكون فيه بعض وفاءٍ للمسألةِ ..

وأختمُ هنا بأن أركز على أمرين :

- لنحرص على المضمون دفاعاً عن نبينا ..
- ترفقوا في اللفظ ما دامت العربية تسعه ..

كما قال شيخي العلامة ابن عدود (10) في مثله:

فما التلحينُ فِيهِ بمُستَجادٍ ***وقد أَلْفى عن اللَّحْنِ احتِمَالا

(محبكم عادل رفوش) .

– الهوامش : ـــــــ

(1) هذا الاستفتاح هو خطبة الحاجة الشرعية التي كان السلف الصالح يقدمونها بين يدي دروسهم، وكتبهم، ومختلف شؤونهم، وقد صح حديثها عن نبينا عليه الصلاة والسلام من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- وغيره.

والاستفتاح بها سنة نبوية هجرها الكثير من الخطباء والدعاة إلى الله واستعاضوا عنها بمقدمات إنشائية، فإلى الله المشتكى، وانظر-غير مأمور- نص (خطبة الحاجة) وتخريجها للإمام محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-.

(2) قال العلامة المحدث أحمد بن محمد شاكر رحمه الله في (الرسالة للشافعي) (ص /12 هـ 1) :(غلبت كلمة رسالة في عرف المتأخرين على كل كتاب صغير الحجم، مما كان يسميه المتقدمون جزءا، فهذا العرف الأخير غير جيد، لأن الرسالة من الإرسال).

(3) وهو الشيخ عبد المحسن بن حمد العبَّاد البدر حفظه الله ومتع به.

(4) منقول من الموقع الخاص للشيخ محمد بن عمر بازمول.

(5) وهو الشيخ الدكتور عادل بن المحجوب بن اليزيد رفوش العروسي السرغيني المراكشي الملقب بالعالم الشاب، ولد عام (1976م) ونشأ في مدينة مراكش، له إطلاع واسع في العلوم الشرعية خصوصاً علم علوم العربية، تخرج بالعلامة الموريتاني محمد سالم ولد عدود رحمه الله تعالى (ت 1430 هـ)، له مؤلفات منها:»شرح الأقنوم الجامع للعلوم« لحافظ عصره الإمام أبي زيد عبد الرحمن ابن الشيخ عبد القادر الفاسي الفهري، المتوفى عام (1089 هـ) . والأقنوم هي منظومة تضمنت متوناً لأكثر من مائتي علم، من مختلف العلوم المشهورة والمغمورة، ذكرها العلامة الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني في المجلد الثاني من :»التراتيب الإدارية« (ص/137 - 139).

(6) هو الشيخ الدكتور اللغوي الكبير البشير بن محمد عصام المراكشي المغربي ولد بتاريخ (28 أبريل 1972) من علماء الشريعة الكبار، قرأ على جمع من الشيوخ أبرزُهم: والده الشيخ محمد بن حدوش عصام المسفيوي خريج جامعة ابن يوسف العتيقة بمراكش، له مؤلفات كثيرة من أشهرها:»تكوين الملكة اللغوية«.

(7) المقصود به هو الشيخ الدكتور عادل بن المحجوب رفوش المراكشي.

(8) وهنا فائدة ذكرها الأستاذ منير خلوفي الجزائري وهي قوله:(المعتمد أن »جِنّيْ« بكسر الجيم، ثم نون مشدّدة مكسورة، ثم ياء ساكنة من غير تشديدٍ، لأنها ليست ياء نسبةٍ، ومن الغلط نسبته إلى الجنّ كما هو ذائعٌ على الألسنة، وقد قيل: إن هذا الاسم هو مُعرّب »كنّي«، وهو اسمٌ يوناني معناه فاضلٌ أو حاذقٌ، إذْ كان والد ابن جني روميا يونانيا من موالي الأزد، والكاف فيه تُلفَظ كالجيم المصرية أو G في اللغة الإنجليزية. وممن ضبطه على هذا النحو: الشُمُنّي في حاشيته على »مغني اللبيب«، وابن الطيّب الفاسي في حاشيته على كتاب »الاقتراح« للسيوطي (١٩٠/١). قلتُ وينظر أيضاً ما كتبه العلامة علي محمد النجار حول ضبط »ابن جِنّيْ «وبيان الأوجه الإعرابية المحتملة فيها في كتابه »لغويات وأخطاء لغوية شائعة« (ص/20 - 21).

(9) العبارة صحيحة فليعلم، فالمتوفي بالياء في آخر الكلمة هو الله الذي أوقع الوفاة على الميت والمتوفى بالألف المكسورة في آخر الكلمة هو الميت الذي وقع عليه فعل الوفاة.

(10) هو العلامة محمد سالم ولد عدود رحمه الله تعالى (ت 1430 هـ)، وقد رثاه تلميذه عادل رفوش في قصيدة بعنوان:(طود على الأكتاف محمول)

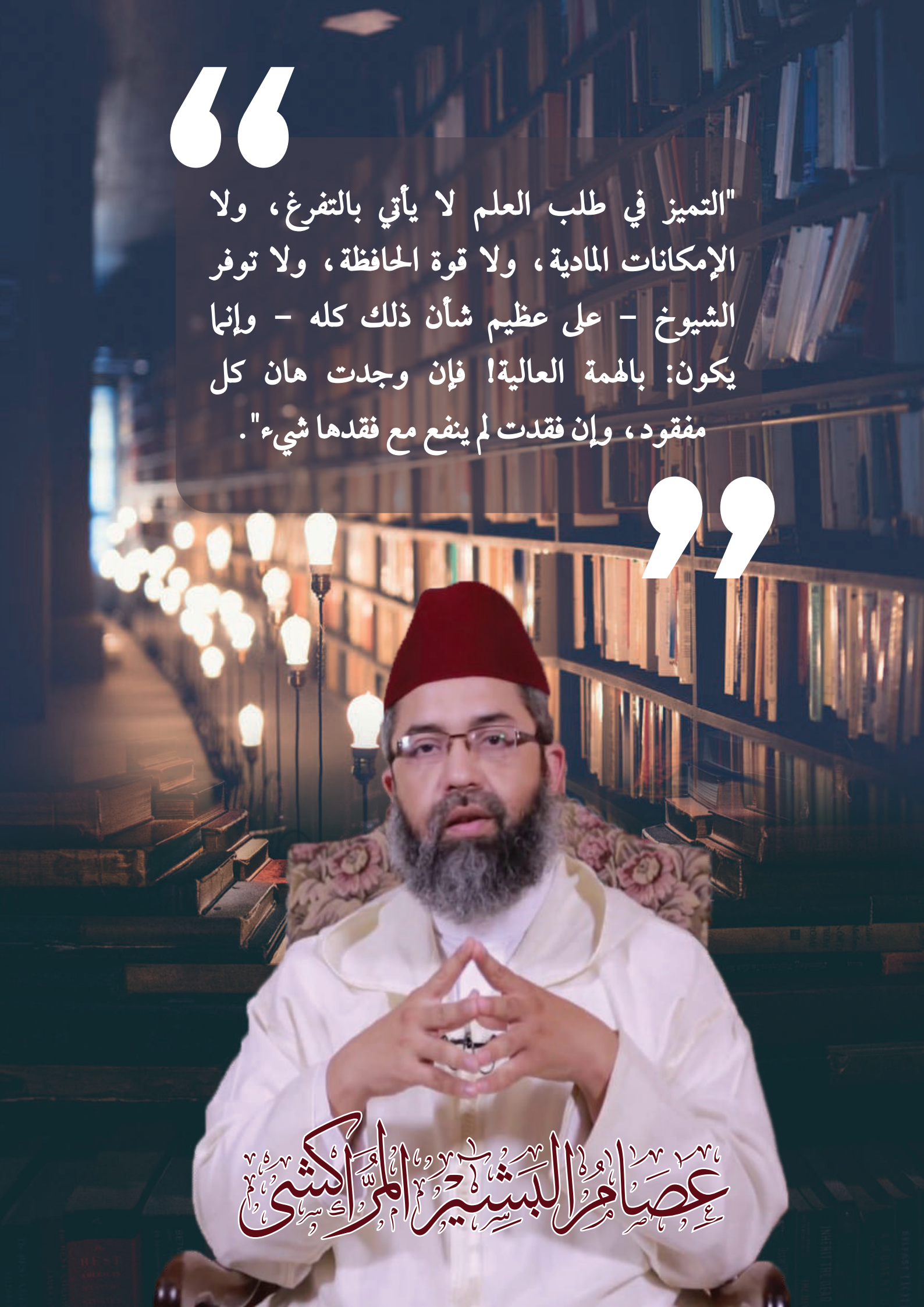
"التميز في طلب العلم لا يأتي بالتفرغ، ولا الإمكانات المادية، ولا قوة الحافظة، ولا توفر الشيوخ - على عظيم شأن ذلك كله - وإنما يكون: بالهمة العالية! فإن وجدت هان كل مفقود، وإن فقدت لم ينفع مع فقدها شيء".
عصام البشير المراكشي

قراءات

قَرَاءَةُ كِتَابِ حَيَاةِ الرَّافعِي

لمحمد سعيد العريان

نصيرة سعيد - الجزائر-

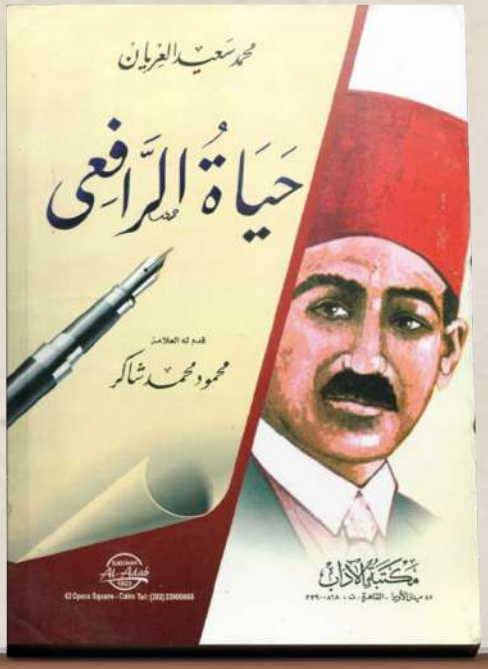

يقول الرافعيُّ: «أنا لا أعبأُ بالمظاهرِ والأغراضِ التي يأتي بها يومٌ وينسخهَا يومٌ آخرٌ، والقِبلةُ التي أتجهُ إليهَا في الأدبِ إنمَا هيَ النفسُ الشرقيةُ في دينهَا وفضائلهَا، فلا أكتبُ إلا ما يبعثهَا حيّةً، ويزيدُ في حياتهَا وسموِّ غايتهَا، ويمكّنُ لفضائلهَا وخصائصهَا في الحياةِ؛ ولذَا لا أمسُّ من الآدابِ كلهَا إلا نواحيهَا العليَا؛ ثمَ إنهُ يُخيلُ إليَّ دائمًا أني رسولٌ لغويٌّ بُعثتُ للدفاعِ عنِ القرآنِ ولغتهِ وبيانهِ».

كانَ ينظرُ للأدبِ من علوٍ و سموٍّ ومن شموخٍ واعتدادٍ بالنفسِ، رسولٌ لغويٌّ بُعِثَ للدفاعِ عنِ القرآنِ ولغتهِ وبيانهِ، ، كلمةٌ منهُ عنهُ تختصرُ حياةً أدبيةً دامت سبعٍ وثلاثينَ سنة، كلماتُ تقرؤهَا فيهجشُ الخاطرُ حزنًا على هذَا الأدبِ المهدورِ المجهولِ عندَ الناشئةِ، أدبُ الرافعي وأيُّ أدبٍ ، تمتدُ ظلالهُ الوارفةِ إلى أعمقِ نقطةٍ في روحِ الإنسانِ فتلامسُ أبلغَ ما فيهِ من جمالٍ وأنصعَ ما فيهِ من فكرٍ ! كان الرافعيُّ واسعَ الأملِ، عظيمَ الطموحِ، كثيرَ الاعتدادِ بالنفسِ، لا يداهنُ ولا يهادنُ في لغتهِ ودينهِ ، بهذهِ الكبرياءِ الأدبيةِ الطاغيةِ تهيّأ لأن يكونَ كمَا أرادَ وأن يبلغَ بنفسهِ هذا المكانَ بين أدباءِ العربيةِ، وبعدَ أنْ تخلّى عنِ الشعرِ لضيقِ عاطفتهِ بقيودِ الشعرِ ظهرَ الكاتبُ المنافحُ الذي يعرفهُ اليومَ قراءُ العربيةِ، فصارَ كمَا قالَ الأستاذُ شكيب أرسلان: «حضرةُ الأستاذِ العبقريّ نابغةُ الأدبِ وحجةُ العربِ»، و كما قالَ الزعيمُ مصطفى كامل: «الحكمةُ العاليةُ مصوغةٌ في أجملِ قالبٍ من البيانِ»، وكمَا قالَ الأستاذُ محمد رشيد رضا: «الأديبُ الأروعُ، والشاعرُ الناثرُ المبدعُ، صاحبُ الذوقِ الرقيقِ، والفهمِ الدقيقِ، الغواصِ على جواهرِ المعاني، الضاربُ على أوتارِ مثالثهَا والمثاني».

غادرَ الرافعي ذاتَ صبحٍ وترك خلفهُ شواهدَ من جوامعِ الكلِمِ وسحرِ البيانِ وصوابَ الفكرِ وأصالةَ الفكرةِ وصديقٍ أمينٍ اسمهُ محمد سعيد العريان أملت عليهِ أمانتهُ وساقهُ ضميرهُ أن يسطرَ هذه الحياةِ الفريدةِ، لله، للحق، للإنسانِ، للتاريخِ ، وللأدبِ، في كتاب « حياة الرافعي « الذي أصدرهُ سنة التاسع والثلاثين وتسعمائة بعد الألف بعدَ عامينِ من وفاتهِ، وأظنُّ أن فكرةَ إنشاءِ الكتاب ما كانت لتتعزّز وتستنهضَ قلمهُ إلا بعد ما رآهُ من تهميشٍ لجهادِ الرافعي حيث قالَ عن ذلكَ: « يرحمهُ اللهُ! يرحمهُ اللهُ! هذا هوَ الخلودُ الذي ضمنتهُ العربيةُ لمن يموتُ من أدباءهَا وهوَ في ميدانِ الجهادِ يكافحُ الفقرَ والمرضَ وشئونَ العيالِ، ويبذلُ نفسهُ لينشئَ أدباً يسمو بضميرِ الأمةِ، ويشرع لها طريقاً تسيرُ فيه إلى عظمةِ الخلدِ وسعادةِ الأبديةِ ومجدِ التاريخِ!، يرحمهُ اللهُ! يرحمهُ اللهُ! هذا كلُّ ما تستطيعُ

العربية من كلماتِ العزاءِ، وكل ما يملكهُ أدباءُ العربيةِ من أساليبِ المواساةِ، وكلُّ ما يقدرُ عليهِ ناطقٌ يبينُ، وصديقٌ يتحبّبُ، وحبيبٌ يشعرُ أن عليهِ حقاً لمن يموتُ من أهل البيانِ!، يرحمهُ الله ! يرحمهُ الله !، خلوا عنكم أيها الأدباءُ الكبارُ، وأيها الشعراءُ العظامُ، وأيها الخطباءُ المصاقعُ؛ خلوا عنكم عناءها، سيرحمهُ اللهُ وإن لم تقولوها؛ سيرحمهُ بما جاهدَ، وبما بذلَ، وبما عانى، وبما تحملَ من جهدِ التضحيةِ ومشقةِ الحرمان؛ وسيرحمهُ ثانيةً بما لقيَ من العقوقِ وكان براً، وبما لقيَ من الغدرِ وكانَ وفياً، وبما قوبلَ من إنكارِ الجميلِ وكانَ من أهلِ الجميلِ؛ وسيرحمهُ بدموعِ هؤلاءِ اليتامى، وبأنّاتِ هؤلاءِ الأيامى، وبدعواتِ كثيرٍ من أهلِ الإيمانِ وفوا له ما وسعهم الوفاءُ !».

كانَ العريان من أهلِ الإيمانِ والوفاءِ، فهيّأَ الأسبابَ وجمعَ الأخبارَ وتقصّى الأحداثَ، وجمعَ ما جمعَ – على غرارِ ما لديهِ - من الشواهدِ والدلائلِ وكتبَ الكتابَ بمثلِ الزخمِ الأدبي الذي تتمتعُ بهِ كتبُ الرافعي، كيفَ لا وهو تلميذهُ ومكمنُ سرّهِ ومُجالسهُ، إنَّ اللهَ هيّأَ القدرَ للرافعي والعريان أن يلتقيَا على أهدافٍ واحدةٍ في الغيرةِ على اللغةِ العربية والعروبةِ والإسلامِ، فكانَ العريان فيمَا بعدُ زيدُ الرافعي كاتب وحيهِ، فكانت هذه الملازمةُ تقدمةً وتهيئةً ربّانيةً ليُكتبَ الكتابُ كمَا هوَ الآن، بهذَا الإنصافِ والدّقةِ، إنَّ روحَ الرافعي كانت تحومُ بينَ صفحاتِهِ.

تتلخصُ محاورُهُ في نشأتهِ، علمهِ، ثقافتهِ، شعراءُ عصرهِ وشيوخهِ في الأدبِ، ظروفِ حياتهِ، تأريخِ كتبهِ وظروفِ انشائهَا، عملهِ في الرسالةِ، وفاتهِ.

وقراءتي للكتابِ متصلةٌ بالهدفِ المنشودِ من قراءتهِ، معرفةُ الرافعيّ عن كثب، روحهُ، ميولهُ، تصوراتهُ، همومهُ، خلجاتُ نفسهِ، كيف يحبُّ، كيفَ يكتبُ، كيفَ يتألمُ، كيفَ يرضى، وقد جمعتُ لكم – مع تقصيرٍ كبيرٍ وأسلوبٍ بسيطٍ لا يقارنُ ومستوى الكتابِ ومضمونهِ – بعضًا ممّا أثّرَ واستدعى التدوينَ.

-يحوي الكتابُ كثيراً من التفاصيلِ تصلحُ مادةً للبحثِ في التاريخِ والسّياسةِ والأدبِ والقاماتِ الأدبيةِ والسياسيّةِ.

- أشياءٌ كثيرةٌ يجيبُ عنهَا الكتابُ، خصوصًا تلكَ المرتبطةُ بما يحدثُ لهُ من تأثيراتٍ جانبيةٍ بعدَ الكتابةِ، فتراتُ عجزهِ عنهَا، لحظاتُ زهوهِ واعجابهِ بما كتبَ، سؤالُ مقربيهِ الرّأيَ فيما يكتب.

- إنَّ هذهِ الحياة ليست سيرورةَ حياةَ أديبٍ فحسب، بل هي - أيضًا – حياةٌ تمّت فيهَا صناعةُ نوعٍ فريدٍ من الأدبِ وطرازٍ رفيعٍ من الفنِّ.

- إنَّ هذا الكتابَ يحمل من الجودةِ والألقِ ما يناسب شخصَ المكتوبِ عنهُ، راقيَ المعنى، مهذبَ اللفظ، جزيلَ العباراتِ، منهجيٌّ موضوعي الطرحِ، كانَ كاتبهُ محبًّا منصفًا، مخالفًا بأدبٍ، مستحضرًا الضميرَ.

- حينَ تقرأ الكتاب تشعرُ أنّهُ يتكلم عن حيٍّ لم يفارق دنيانَا بعدُ.

- كانت كتابات الرّافعي مليئةً بالمفرداتِ القرآنيةِ و أسلوبهُ سليمٌ من الشوائبِ الأعجميةِ.

- وكمَا للرافعيّ أسلوبهُ الخاصُ كانت له أيضًا مفرداتهُ الخاصّة، كمثلِ لفظِ « السينما « التي كان يسمّيهَا « خارج القطر « و «الواعية الباطنة « التي كانَ يقصدُ بهَا « العقلَ الباطن « فكانَ حقّا شخصًا فريدًا لا يتكرّر.

- بدأ الرافعيُّ مشوارهُ داعيًا إلى نوعٍ من الاصلاحِ الديني.

- كانت الكلمة في الحقبةِ التي عاشَ فيهَا الرافعيُّ ومعاصروهُ من الكُتّاب لهَا قيمةٌ كبيرةٌ في صنعِ القراراتِ بل حتى في تغييرِ السياساتِ فكانت وسيلةَ التغييرِ محرّكةَ الشّعوبِ.

- كانَ الرافعيُّ صديقَ كلِّ النّاسِ وكانَ يربطُ علائقَ وثيقةٍ مع قرائهِ وخاصةً أصحابُ المضائقِ والآلامِ فكانَ لا يبخلُ بالنصحِ والمشورةِ والرأيِ في رسائلَ متبادلةً لا تنقطع.

- كانَ تأثيرهُ في قرائهِ تأثيراً بليغًا.

- كانَ الرافعيُّ تدعوهُ دواعيَ للكتابةِ، فلا يتخلفُ عن أمرٍ حسّاسٍ، سواء كانَ حدثًا اجتماعيًا أو ثقافيًا أو سيّئةً تنالُ منَ الكيانَ الاسلاميَ لغةً ودينًا.

- من عجيبِ حرصهِ على الذوقِ و الإتقانِ والمقامِ النبويّ أنّهُ حين أرادَ أن يكتبَ بحثًا في البلاغةِ النبويةِ لم يتهيأ للكتابةِ حتى قرأ صحيحَ البخاري كلّهُ قراءةَ دارسٍ وأنفقَ في ذلكَ بضعةَ يومٍ.

- أما خصوماتهُ الأدبيةِ فكانت أغلبَ دواعيهَا من أجلِ الدينِ واللغةِ.

- كانَ ينحلُ مقالاتٍ بأسماءٍ أخرى لأهدافٍ عديدةٍ.

- أجملُ فصلينِ في الكتابِ، فصلُ « كيفَ كانَ يكتبُ ؟ « وقال العريانُ بخصوصِ ذلكَ: « كانَ يرسلُ عينيهِ وراءَ كل منظرٍ، ويمدُّ أذنهُ وراءَ كلِّ حديثٍ، ويرسلُ فكرهُ في كلِّ حادثةٍ، ويلقي بالهُ إلى كلِّ محاورةٍ، ثمَّ يختارُ موضوعهُ ممَّا يرى ويشاهدُ ويحسُّ، إنَّ الرافعي لكثيرُ الأناةِ والتأنقِ فيمَا يكتبُ».. طرازٌ راقٍ في طقوسِ الكتابةِ فصنعَ بذلكَ مواضيعَ راقيةٍ، وفصلُ « نقلةٌ اجتماعية « ومحورهُ رسائلهُ مع القراءِ وعلاقتهُ معهم فقالَ العريان: « الرافعي عرفَ من هذهِ الرسائلِ عالمًا لم يكن لهُ بهِ عهدٌ وانتقلَ بها نقلةً اجتماعيةً كانَ لهَا أثرٌ بليغٌ في حياتهِ وأدبهِ».

- هذا الكتابُ يجعلكَ تعزمُ إعادةَ قراءةِ مقالاتِ الرافعي على نحوٍ آخرَ من الدّقةِ والتمعنِ والفهمِ، لأنَّ الكاتبَ قدّمَ معطياتِ وظروفَ وأسبابَ العديدِ من المقالاتِ.

- إن هذا الرجل فهم المفردة القرآنية « اقرأ « فما انقطع عن المطالعةِ والدرسِ يومًا واحدًا، تزودَ بالأدبِ القديمِ ، وشربَ من معاني القرآنِ والحديثِ، فكان لذلكَ أثرًا، أسّسَ مذهبًا في الكتابة و أسلوبًا فريدًا بحيثُ لو أخذهُ القارئُ بالدراسةِ لقالَ: هذا الرافعيُّ !.

- الكتابةُ عندهُ شيءٌ مقدّسٌ، فحينَ حضورِ المعاني وتهيُّئِ أسبابِ الكتابةِ وموضوعهَا تتأجّلُ الواجباتُ ولو كانت هامّة.

- اهتمامُ الرافعي بالتراثِ الإسلامي جاعلا منه مادةً خصبةً للكتابةِ في أدبِ القصّةِ.

- القراءةُ للرافعي تفيدُنَا ببعضِ طرقِ الكتابةِ الرّافعيةِ، إضافةً لاستفادتنَا من مادةِ البلاغةِ والبيانِ والجمالِ، سنستفيدُ من منهجيتهِ في ترتيبِ الأفكارِ واستحضارِ المعاني والتخطيطِ للكتابةِ.

- ستجدُ نفسكَ منثورًا في رسائلِ القراء لهُ فالتاريخُ يتكرر والقضايا كذلكَ.

إنَّ هذا الكتاب على غرارِ ما ذكرتهُ من نقاط، مادّةٌ تعليميّةٌ هامّة لمن أرادَ أن يتدرّج في فنِّ الكتابةِ، بل لمن أرادَ أن يصنعَ اسمًا خالدًا وقلمًا رساليّا، يستحضرُ الضميروحدودَ الشّرعِ ويواكبُ الحدثَ ومطالبَ الأمّة، حياةُ الرافعيّ صانعةُ فكر وجالبةُ خير.

محمد سعيد العريان

الرّافعي كما قرأته هي

حنان صادق -سوريا-

قال **الرّافعي** رحمه الله في كتابه «رسائل الأحزان »:

«إذا سألت نفسك سؤال الفلاسفة: من أنا؟ و وجدتَ في نفسك ذلك السّر الخفي يقول عنك: من هو ..؟ فإنه لن يظهر لك معنى أنا وهو، إلا إذا وضع الحبّ بينهما: (هي)» إذن من تكون هي عند الرّافعي ؟

هي في فهم معنى الأنا، من موضع الحب وعمله أو العكس، الحب حينما يضع (هي) في (أنا) الرجل وعمل قلبه.

بين هو في الحضور، وأنا في الغياب، كانت دومًا : هي.

* لم يكن **الرّافعي** شخصًا عاديّ الطموح الأدبي والفكري، أو الوجود المتجسد في كينونة جسدية محدودة، تأسره وتضع له حدود لتضعفه عن همّة سكنت نفسه، كما لم يكن الشافعي أو الفراهيدي، أو المتنبي وغيرهم الكثير رحمهم الله، كلّ في عصره المكاني.

الخروج عن المألوف الثابت هي نزعة الكمال في التناقض الخفي الذي ينشأ في النفس فيأسر الروح فتعلو ,ويستبينه العقل ليجلو عن طفرة، حول باعث ينشط بنشاط الإيمان : ما الذي يحتاجه قومي ويلهمني به ربي..؟

نفسٌ وثابةٌ على درجة عالية من الهمّة السامية ، تُحيك اللغة في معنى خاص بها لا كما تُعرف وتألف، بل كما تبدع وتسحر ، شيء لا كالشيء يوصف، بل يشعر ويحس ويدرك .. كيف؟

يحتاج لقدرة هائلة وموروث ثقافي متين، وذكاء وقاد ، وحنكة الداهية في قولبته، كالزجاج تشفه طهراء، وكالماس تمسه قساوة ، وكالقطن يحاك أنواعا، أو قل هو كالهواء تستنشقه بعد غرق لتجد معنى الحياة ، وكنت تظن أن الماء هو إكسير الحياة لكن في غرقك تنقلب الصورة. ...

وكأن بي و**الرافعي** ، على صغري وكبره ، يريد أن يبني عالمه الأدبي الخارق للعادة خارج محيطه البسيط الهادئ ، بيت ، زوجة أولاد و علاقات متشابكة من الأهل والأصحاب وحتى النساء .. لكن هناك سكنٌ روحي صاخب يضج به نحو ابتداع أدب يبزّ به أقرانه ويرضي به كبرياء شخصه التي يعلم يقيناً أنها فوق العادة ، على تواضعه، وهي فعلا كذلك. ..

وفوق كل هذا وذاك ليثبت أن اللغة العربية مازالت وستبقى منبع التجديد والتعبير في إعجازها واشتقاقاتها في اللغة وأساليبها في التعبير، كما في التجربة الشعورية الرحبة..

نعم سيبني عالمه المركوز على دعامتين اثنتين متضادتين، وبما أن نواميس الكون تقوم على التناقضات بين الأشياء: مادية محسوسة معروفه ، أو معنويّة منكّرة مدركة، بين ماء ونار ، ونور وظلمة ، وجنة ونار ، وحب وكره ...

وكان بينهما دومًا ذكر وأنثى ... كيف؟؟

عليه أن يفهم هذا كله و أن يفهم الأنا الذاتي والقدرة التعبيرية في وجه النقاد وأعداء الحب وفلسفته ، ليخبرك بحنكة الأديب كيف انطوى فيه الكون لينشره من جديد ، حتى يصل للعمق في مرآته لتنعكس بك في زمانك أنت، سأل نفسه: من أنا؟ أذاك الإنسان الذي انحصر في سجن الجسد وجنود المرض، ومتاعب الدنيا بكل ترهاتها وصغائرها الزائلة ، وعلاقاتها المعقدة حينما صرخ داخله

في سرّه الخفي وكأنه انكشف بوحي إلهي في العقل المتّقد ، أنت هو..؟؟

قم واصنع من أجزائك ؛عالمك الخاص وأبحر في كونك وبين مجراتك حر طليق ، ولكن حرّ لا بطريقة الغرب المبتذلة الرخيصة بل بطريقة السمو في الحب بين طاقتين رسمهما قوس المطر في الطبيعة، لتشعر مهما كنت وبأي حال كنت بالجمال، فوق بنفسجية طهر الروح وتحت احمرار عاطفة القلب، تكونت ألوان النفس السبعة. ..

وهتف به هاتف آخر، ولأنك هو ولأنك ذكرٌ مكتمل الرجولة، كائن في جنتك تحتاج إلى نقيضك ، سكنك، من بضعة منك ؛ فكانت : هي

نعم هي ..!!؟

رفع **الرافعي** قدر المرأة لتصل إلى عليائه وسما بقلبها وعقلها لتجاريه في ابتكاره ، فقولبها لتناسب عظمة نفسه وأدبه وروحه الوثابة، وانشطار حروفه في براكين ثائرة بعواطفه الهائجة، وتجاري الماء العذب الهادئ الهادر في سكون أحاسيسه الصامتة. ولأنّ الطهر نسج فيه نسجه، وسمو الخلق عمل فيه عمله .. والأدب رسالة تربية لنفسه ولها قبل أن تكون شهرة ومتعة ...

وأخيراً .. مروءته التي كانت الجدار الحامي ..

جعلها هي مثالًا لا ليرى فيه الجسد والفتنة مع أنها كذلك في عالمه المحفوف بكل المخاطر ، إلا أنها مثال الطهر والعفة ..فلا شذوذ في تكامل روحين في خيال العاشق ، مهما كنت عالي السمو الفكري ، عليك أن تكون عالي السمو الإيماني أيضًا. .

وبعد أن تمّ له من أمرها واصطنعها لنفسه ، بقي ذاك النور الذي تُبعث فيه لتكون هي، ويراه هو، لتضجّ وتنبثق أمامه في كل حواء مرّت في ذاكرته وتكوّنت في احمرار سحابه الحزين وبعثرة أوراق ورده ، ورسائل أحزانه به وبها؛

فكان ربيع الولادة السرمدية ويجري معها_ بوهمها وخيالها هي، وبوحِه وواقعه هو_ جريان السنة الأدبية الشاعرة في عمر لا ثوانٍ فيه ولا ساعات؛ عمر تتجدد فيها سنته في كل مؤلف وفكرة .. من جمال وسحر الولادة القلبية في ربيعها, وحزن ألم الفراق في خريفها , إلى حرارة وقسوة الجفاء ولهيب الشوق في صيفها، إلى زمهرير وبرود الموت في شتاء الوداع الأخير، فكانت فصول النّفس الأدبية ، تمكنت في وحي قلمه يناشد جيل يراه يسقط في دركات الفساد علّه يستنهض به المروءة حين يحب، والعودة حين يجمح، وأهم من هذا وذاك، الجمال الموصول بتأثير الكلمة حين تخرج من فم أديب متمكن. له ذلاته بيد أن هذا عالمه أحبه من أحبه وكرهه من كرهه.

هي عنده الملهمة ، وهو عندها الملهم ، وكلاهما في السنة الأدبية يبثان النور يسمّى الحب، ويتلون بينهما بألوان الطيف يعلو ويسفل .

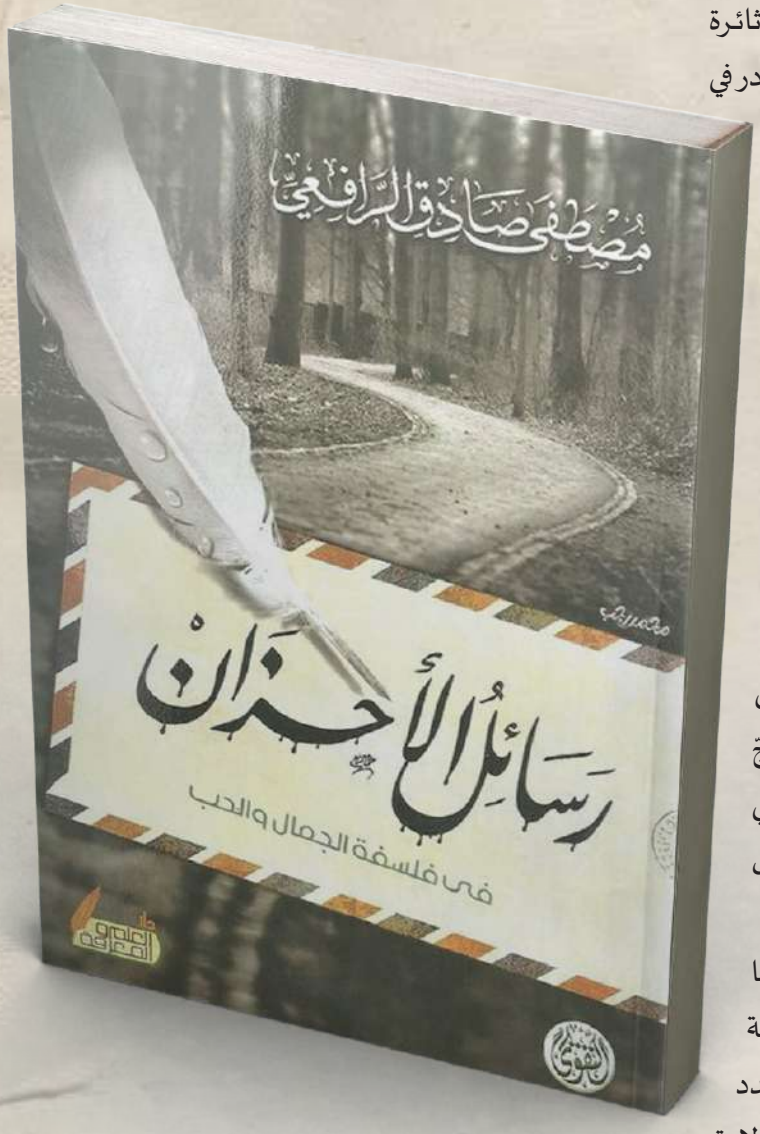

ابنُ عَذَاري المَرّاكُشي
ذاكرة الفكر التاريخي بالغرب الإسلامي

عرض: أبو الحسن الجمال - كاتب ومؤرخ مصري-

محمد علي دبور

يعد ابن عذارى المراكشي أحد المؤرخين الكبار المعروفين منذ بداية النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وحتى بداية الربع الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وكما يدل لقبه فهو مؤرخ مغربي سكن مدينة «مَرَّاكُش»، ولكنه ذو أصول أندلسية كعادة غيره من المؤرخين الأندلسيين الذين نزحوا إلى مدن المغرب واستقروا بها ونُسبوا إليها، بعد أن ساءت أحوال المسلمين في الأندلس.

وكتابه «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» من أهم المؤلفات التي أرخت للغرب الإسلامي كله بصفة عامة، و(المغرب والأندلس) منه بصفة خاصة منذ الفتح الإسلامي حتى بدايات دولة بني مرين، ويُعدُّ كذلك من أوسع هذه المؤلفات وأشملها وأدقها، وترجع أهميته إلى سببين أساسيين:

- أولاً: ما نقله من نصوص تاريخية كثيرة عن مؤرخين كبار لم نعثر على مؤلفاتهم، وبعضهم لا نجد لهم ذكرًا ولا نعرف عنهم شيئًا إلا من خلال كتاب ابن عذارى، وعدد المؤرخين الذين ورد ذكرهم عند ابن عذارى ونقل عنهم يفوق بكثير ما ورد عند غيره من المؤرخين الكبار.

- ثانيًا: تعليقه على كثير من الأحداث ونقده لها وتفسيره لبعضها وتصحيحه للبعض الآخر منها، فلم يكن مجرد ناقل أو كاتب للأحداث التاريخية، وإنما يضع رأيه في الحادثة حين يجد أن ذلك مناسب ومفيد، بالإضافة إلى إيراده كثيرًا من التفاصيل الدقيقة لهذه الأحداث.

ورغم أن كتاب «البَيَان المُغْرِب في أخبار الأندلس والمَغْرِب» لابن عذاري المراكشي يعد من التواريخ المحلية الإقليمية، إلا أن مفهوم الإقليم عنده كان أوسع كثيرًا، حيث استوعب في كتابه جل أقطار الغرب الإسلامي كاملاً منذ الفتح الإسلامي حتى ما بعد منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

ومصطلح الغرب الإسلامي الذي استوعبه ابن عذاري في كتابه يشمل كلاً من شمال أفريقيا والأندلس، ويضم كل البلاد التي دخلها الإسلام- وبقي فيها أو لم يبق- في الجناح الغربي من العالم الإسلامي، وهذه البلاد تنقسم إلى خمس مناطق رئيسة:

1- المغرب: ويشتمل على بلاد الشمال الأفريقي المختلفة الممتدة من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلسي.

2- الحوضان الأوسط والغربي للبحر المتوسط: ويدخل في ذلك كل جزائر البحر المتوسط الواقعة في هذين الحوضين مثل: صقلية وقوصرة وقرسقة والأراضي الأوربية القريبة منها مثل: جنوب إيطاليا وما قرب منها من الجزائر مثل: مالطا وسردينيا.

3- الأندلس: ويراد به الأراضي التي سيطر عليها المسلمون من شبه الجزيرة الأيبيرية، وتتبعها الجزائر الشرقية المعروفة بجزر البليار.

4- الصحراء الأفريقية: التي تقع جنوبي المغرب، والتي تعد أحيانًا جزءًا من المغرب، ولكنها في الحقبة الأخيرة قُسِّمت سياسيًّا إلى جمهوريات مختلفة، وظهرت بها بلاد إسلامية

لها شأنها مثل: تشاد والنيجر وفولتا وما إليها، وكلها تدخل ضمن ما نسميه بالغرب الإسلامي.

5- غرب أفريقية الإسلامي: ويدخل في نطاق الغرب الإسلامي البلاد الإسلامية في أفريقية الغربية المدارية والاستوائية، وتسمى أيضًا بلاد السودان الغربي، وهي بلاد لها تاريخ سياسي وحضاري طويل في ظلال الإسلام.

كل هذه النواحي تدخل ضمن الجناح الغربي للعالم الإسلامي والمصطلح على تسميته بالغرب الإسلامي والذي يمتد طولاً من برقة وطرابلس شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا، وعرضًا في الصحراء جنوبًا إلى بلاد الأندلس شمالاً، وهي منطقة لها بنية جغرافية وتاريخية متميزة يطبعها التنوع والاختلاف في إطار وحدة تكاملية كان لها انعكاس واضح وكبير على حضارتها وتاريخها الطويل منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر الوسيط.

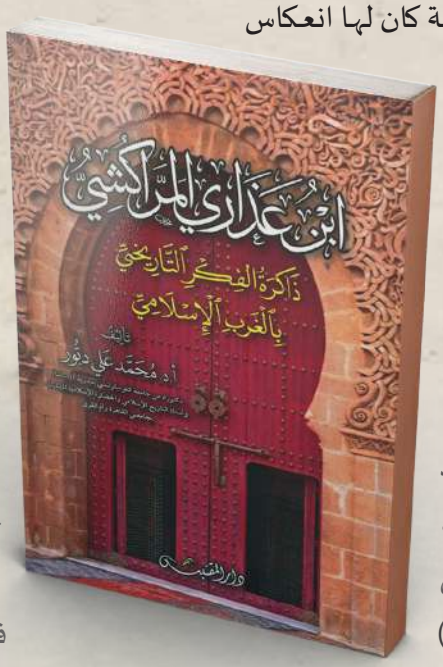

وقد صدر مؤخراً كتاب «ابنُ عَذَاري المَرَّاكُشي ذاكرة الفكر التاريخي بالغرب الإسلامي» للدكتور محمد علي دبور أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية في كلية دار العلوم جامعة القاهرة والأستاذ المشارك بجامعة أم القري بمكة المكرمة، والحاصل على درجة الدكتوراه من جامعة مدريد المركزية (كومبلوتنسي) بأسبانيا ... وللمؤلف مؤلفات وأبحاث رائدة في مجال الأندلسيات..فحصل على درجة الماجستير بعنوان «الدور السياسي والاجتماعي للعلماء في الأندلس في عهدي المرابطين والموحدين، والدكتوراه بعنوان «الأسعار في المغرب والأندلس ﴿ق 7 – 9 هـ/ 13 - 15 م﴾»، وخلال رحلته مع البحث العلمي أنجز العديد من الأبحاث، وقد قسَّم المؤلف الكتاب إلى مقدمة وأربعة فصول، ثم ختمناه بذكر قائمة كاملة بمصادر الكتاب ومراجعه المتنوعة:

- الفصل الأول وعنوانه: ابن عذاري المراكشي وبيانه المغرب، عرض فيه المؤلف لترجمة المؤرخ ابن عذاري المراكشي في حدود المعلومات المتاحة عن كنيته واسمه ولقبه وتاريخ وفاته وأهم مؤلفاته، ثم ذكر لمحة عن (البيان المغرب) وطريقة ترتيبه؛ فذكر عنوان الكتاب والخلاف حوله، وكذلك خطة الكتاب وتقسيماته.

- وجاء الفصل الثاني تحت عنوان: المغرب الأقصى والأندلس في عصر ابن عذاري، تحدث فيه عن المغرب الأقصى والأندلس في عصر المؤرخ ابن عذارى من الناحيتين السياسية والثقافية، وذلك بغرض التعرف على البيئة التي عاصرها مؤرخنا، وتعايش مع أحداثها، وتفاعل معها وانفعل لها، وكان له رأي فيما يجري حوله من ظروف وتقلبات أفرزت في النهاية هذا السفر القيم في تاريخ الغرب الإسلامي، خاصة (المغرب والأندلس).

- أما في الفصل الثالث الذي جاء تحت عنوان: منهج ابن عذاري في الكتابة التاريخية، فتناول فيه المؤلف منهج ابن عذاري المراكشي في الكتابة التاريخية، كما ذكر أهم عناصر هذا المنهج وما يتميز به بما يكشف عن مواهب ابن عذارى وملكاته المتنوعة في رصد وتحليل الأحداث التاريخية، وكذلك أسلوب كتابته المتميز والدقيق في صياغة مادة هذا الكتاب.

- وفي الفصل الرابع وعنوانه: مصادر ابن عذاري المراكشي وموقفه منها، تكلم فيه عن مصادر ابن عذارى المتنوعة وموقفه منها، وقد قسم د.دبور هذه المصادر إلى خمسة أنواع؛ هي: المصادر الأندلسية، والمصادر المغربية، والمصادر المشرقية، وكتب العجم ومصادر أخرى مبهمة، ثم أخيرًا الرواية أو السماع، وأفرد لكل نوع منها مبحثًا خاصًا بها، ذاكراً المصادر المفقودة أولاً ثم المطبوعة من كل نوع حسب ما توصل إليه من معلومات عن كل نوع منها، وأعطى اهتمامًا خاصًا لأهم ما أفاده ابن عذارى من هذه المصادر على تنوعها وتعددها، بما يكشف عن قيمة المادة العلمية التي احتفظ لنا بها ابن عذارى في كتابه هذا، خاصة تلكم المادة المأخوذة من مصادر فقدت ولم يعد لها وجود إلا بما نقله ابن عذارى وغيره من المؤرخين عنها، ثم ذكر موقفه من هذه المصادر وتقييمه لها ولأصحابها.

العلمانيون والكذب المباح

منير المرود

إن أهم ما يميز الساحة الإعلامية المقروءة والمكتوبة والمسموعة هو تلك الحرب الضروس التي يشنها العلمانيون على الإسلام والمسلمين، وبما أن دين العلمانيين وملتهم واحدة فإنهم يستعملون نفس الأساليب والطرق لبلوغ هدفهم الأسمى والمتمثل في شيطنة عدوهم الوحيد والأوحد والمتمثل في الإسلام.

ولئن كان تاريخ العلمانية حافلا بالكذب وتغيير المفاهيم وكيل التهم للمخالف كما هو الحال بالنسبة لسلفهم من المستعمرين الذين نهبوا خيرات الدول المستعمرة باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان، مع تخوين الحركات المقاومة والمناهضة لخططها التوسعية بالتشويه تارة واستعمال الكذب والبهتان تارة أخرى، فإن إخوانهم وورثتهم ممن نشؤوا وترعرعوا بين ظهراني المسلمين وشربوا من معين المستعمر يستعملون نفس الألاعيب والخطط من أجل القضاء على كل الحركات التحررية التي تهدف إلى الانعتاق من ربقة الاستعمار الفكري الذي مورس على المسلمين عبر عشرات السنين.

وتبقى أبرز وسيلة للضغط على العقل المسلم وغسله هي الكذب الممنهج والمدروس، خاصة إذا علمنا أنهم قد تحكموا في وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، فأصبحت صناعة النجوم والمشاهير حرفتهم، فكلما نبغ منهم نابغ قدم للناس على أنه المفكر النحرير والمقاوم الباسل الذي يدافع عن قضايا الفقراء والمستضعفين، وينافح عن الدين من المتشددين والمتطرفين، مستعملين أسلوبهم الشهير في الكذب والتزوير.

إن هذا الأسلوب الذي يعتمده هؤلاء القوم له نماذج وأمثلة كثيرة، من بينها تلك الطلعات التي يطلع بها علينا بعض رموزهم بين الفينة والأخرى لكي يروي قصصا وروايات هي من نسج خياله وبنات أفكاره، يكون الهدف منها زعزعة ثقة الناس بالدين والمتدينين، ومن أمثلته المشهورة التي لا يجب أن تنسى ما نشرته ولا زالت تنشره جريدة الصباح من الأكاذيب والأباطيل التي لا سند ولا مرجع لها إلا التزوير المدروس، عبر مجموعة من المقالات المتهافتة نضرب على سبيل المثال لا الحصر: ما نشرته في العاشر والحادي عشر من مارس 2011 «أن سلفيين اعتدوا على فتاة ونزعوا ثيابها»، وفي 19 أكتوبر 2012: «سلفيون يدمرون مآثر تاريخية بالأطلس الكبير»، و في 26 نوفنبر 2012 : «المعتقلون الإسلاميون احتجزوا موظفا في زنزانة ورفضوا التفاوض مع المسؤولين»، ومقال آخر كاذب بعنوان: «ستة سلفيين يذبحون بائعا متجولا بطنجة» وذلك بتاريخ 9 أكتوبر 20012، و «سلفي يهاجم زبناء مقهى بطنجة» (19 أبريل 2011)، و»سلفية تخون زوجها السلفي مع سلفي آخر» (9 يونيو 2011)، وآخران حاولا شنق عرافة بسلا (19 أكتوبر 2012) ...، وغيرها من الكذبات التي تطير بها ألسنة الناس وتنتشر بينهم انتشار النار في الهشيم، قبل أن يتبين بعد ذلك أنها كذب في كذب في كذب.

ومن النماذج أيضا على الكذب الظاهر ما تفضل به مؤخرا داعيتهم المحبوب أحمد عصيد حينما اتهم المغاربة

بالتجسس لصالح مصالح الأمن في رمضان في إشارة إلى الاضطهاد – في زعمه – الذي يتعرض له المفطرون والملحدون اللادينيون في رمضان بالمغرب، مع العلم أننا نعلم جميعا كمغاربة أن هذا الأمر هو من نسج خياله كما هي عادته، إذا لا أثر له في واقعنا المعيش، فلم يسبق أن ألقت السلطات القبض على واحد من مفطري رمضان إلا إذا كان ذلك من قبيل تصفية الحسابات لا غير، أما الواقع فهو خلاف ما ادعاه، إذ كيف تستقيم هذه التهمة والكثير من المقاهي أصبحت تفتح أبوابها في وضح النهار بحجة أن خدمتها موجهة إلى السياح الأجانب، في حين أننا نجد الكثير من المغاربة يتناولون إفطارهم علنا دون رقيب ولا حسيب. وفي نموذج آخر من نماذج الكذب الصراح ما كتبته إحداهن في مقال لها بعنوان: « الإلحاد: أو حكايات مغربيات رفضن قيود المجتمع والدين»، حيث صورت المجتمع المغربي على أنه جماعة متمردة رفضت الدين لما فيه من تناقضات !!! – زعمت – تتعارض مع العقل وما توصل إليه العلم الحديث، ونسبت ذلك إلى «الكثير من الشباب المغربي الذي يعتبر الدين مجموعة من الخرافات والأساطير التي لا يقبلها عقل سليم» – كما قالت -، فنسجت الكثير من القصص والحوارات بين شخصيات وهمية لا وجود لها في الواقع - وإن كنا لا ننكر وجود الإلحاد والملحدين بالمغرب-، كلهن متفوقات في الدراسة – في إشارة خفية إلى أن غيرهن ممن التزمن تعاليم الإسلام لسن كذلك -، كما أنهن توصلن إلى الإلحاد عن قناعة بعد أن درسن الدين الإسلامي وغيره من الأديان، وبما أن مثل هذه المقالات التي يصلح أن تكون نموذجا للقصة القصيرة تنبني على الكذب والافتراء فإنها تحمل بين سطورها ما يدل على تخبطها وتناقضها، إذ أن كاتبتها – أي القصة – تزعم في أول المقال أن هذا حال الكثير من الشباب المغربي ثم تناقض نفسها بنفسها بعد ذلك بأسطر قليلة حينما نسبت إلى أحد الباحثين قوله: « إن الدراسات الميدانية حول القيم تظهر أن الشباب المغربي عموما، تتصاعد وتيرة تشبعه بالقيم الدينية مقارنة بالقيم ذات المرجعيات الحقوقية أو (الأنوارية) أو العلمانية» فكيف يوصف أكثر الشباب المغربي بوصفين متناقضين أحدهما رفض الدين والآخر التشبع بقيمه.

كما أن الرغبة في تحسينها للنص واستعمال الأسلوب التصويري جعلها ترتكب خطأ فادحا يدل على عدم المصداقية في الحوارات المذكورة، ولنتأمل هذه السطور جيدا لندرك مدى فظاعة الجرائم التي يقوم بها هؤلاء باسم حرية التعبير، حيث تقول على لسان إحدى الملحدات: « «أجبرني والدي على ارتداء الحجاب وعمري عشر سنوات، لم أستطع أن أقاوم، في البداية، لصغر سني. وكان يمنعني من أن أخرج لألعب الكرة مع أصدقائي، بينما يسمح لأخي بذلك.» بحزن ممزوج بالتحدي تحكي سناء، خريجة المدرسة الوطنية للعلوم التطبيقية بالحسيمة عن أسباب إلحادها، مضيفة وقد أطرقت رأسها المغطى بالحجاب»، فيا ليت شعري كيف يجتمع الحجاب والإلحاد في صورة واحدة ومشهد واحد.

إنني في هذا الصدد لا أنكر وجود الإلحاد والملحدين في المغرب كيف ذلك وقد عايشناهم وناقشناهم وحاورناهم في الجامعات وأروقة المنتديات، إنما الغرض من هذا العرض هو بيان عدم المصداقية الظاهرة عند القوم والتي تبدو واضحة جلية من خلال ما تدونه أقلامهم وتسطره أيديهم من كذب صريح امتثالا لقول ذلك الإعلامي الشهير حينما أراد وصف الإعلام المضلل بقوله: « اكذب ثم اكذب ثم اكذب ...» .

هكذا يريد هؤلاء تصوير المغاربة، حيث يعملون على تكوين صورة مشوهة لهذا المجتمع الذي لا يزال يتمسك بدينه وقيمه رغم الهجمات التغريبية التي يتعرض لها عبر عقود من الزمن، فالذي لا يعيش في المغرب إذا اطلع على هذه المقالات ستتكون لديه صورة نمطية عن المغاربة والمتدينين بشكل أساس، فهم يقتلون ويعتدون ويضربون ويشنقون ويقطعون الأيدي والأرجل ويخونون ويدمرون ويشون ويتجسسون وينهبون وللنساء ظالمون... فيا للعجب أين يعيش هؤلاء الذين يفترون كل هذه الافتراءات ؟، ولحساب من يعملون؟ ولماذا تتفق مناهجهم وطرقهم في التزوير والتشويه رغم اختلاف أقطارهم وجنسياتهم ؟ ألا يدل ذلك على أنهم ينهلون من معين واحد...

نصوص

فكرت أن أرسم شعرا

عزالدين لزعر

فكـرت أن أرسـم شـعرا ... فسـمعت صريـرا كالقلـم
لا يعجـب عـين الحسـناء ... والصـوت كطـرق حـذاء
لايـرضي شـبق النسـوان ... كـسرت العـين عـلى وجـل
يسـتعدي غـرور الأدبـاء ... أخـشى وكالات الأنبـاء
لاأزعـج حـين كتابتـه ... أو مخفـر شرطـة قريتنـا
كـي أسـتر باقـة أخطائـي ... يحبسـني مـن دون عنـاء
أعلقـه مـن فـوق جـدار ... أو علهـا ليـلى وسـعاد
كـي يعجـب حـور الحـولاء ... وجمانـة بنـت الخنسـاء
لا نقـدا يتبـع صورتـه ... أو ليسـت هنـدا جارتنـا
لا غـيرة بعـض الشـعراء ... وخالتهـا بنـت الشـمطاء
مقبـولا في كل مجـال ... أو أم الخانـات وضرتهـا
يسـتلطف قلـب الحمقـاء ... ورقيـة أخـت الشـيماء
يهـرب في كل مضاجعـة ... كلـن كنـا خليلاتـي
كـي يخـدع حـرص الرقباء ... ياويـلي ويـا فـرط شـقائي
هيـأت لذلـك ريشـاتي ... تلفـت وكلي منتفـض
ألوانـي وكـؤوس المـاء ... أنفـاسي مزجـت بدعائـي
بـدأت أخربـش في عجـل ... صفعتنـي الصـورة في حنق
كسـائل مـاء في الصحـراء ... ا كتـب لا تخـشى قضائـي
لا بحـرا ضايـق فرشـاتي ... أدركـت بـأن الشـعر لهـا
لا وزنـا حـاول إغوائـي ... آيـات تتـلى بسـمائي
ثـم بـكل رباطـة جـأش ... وحـروف تـترى مرصعـة
أعطيـت الصـورة إمضائـي ... وقـواف في فلـك فضائـي
وأدرت الظهـر وقـد قلـت ... قمـت بحك بيـاض الصفحة
خدعـت ذكاء الخرقـاء ... وأزلـت سـواد الإمضـاء

أَخَوَاتُهُنَّ فِي الحُبّ

نور الهدى مداح

هي ما عرفت الهوى و لا عُرِّفته ، و لا ذاقت من مُدام الحبِّ رشفة تهوي بها في غيابات الهيام والشوق الممتدِّ أبدا، تزوم كُلَّما نُبِّئت بحديثه ،ترغي كما الزَّبد كلَّما جمعها المجلس بإحداهن و همست لها بأقاصيصه، تُعرض، و تنأى جانبا عنه ترى فيه وحشا ضاريا ،تزأر و تعربد و في قلبها لم يكن إلَّا مواء قطَّة تخشى الأسد.

هكذا كانت مذ عرفتها من زمن بعيد، ترى الحبَّ قبضة لا مخرج منها و هي المتحرِّرة _زعمت_ لن تُسلم قلبها أبدا، و كان أغلظ الحديث لديها حديثه تراها ما إن تتهامس الفتيات في حديثهن منتفضة لا تلوي على شيء بعدُ، و الفتيات يرمقنها و في قلبهن حديث الاستغراب و الدَّهشة، ينبزنها همسًا بجلافة في الطَّبع و قلَّة أنوثة و يرون فيها امرأة لم تُخلق كغيرها من عطر الورد و لا من مسك الأيل و نسمة الفجر و لكنَّها خلقت من طين لازب!

صديقتي يا سادة؛ نديَّة كالزَّهر، ناعمة الملمس هيفاء القد، عينان كالمها تخترقان غور القلب ما إن ترميك بهما، صديقتي ليست كما يقولون صلبة الطَّبع كأجلاف الأعراب، و لا كما يهمسن سرًّا فاقدة أنوثة و لكنَّها كرشأ الغزلان متيقِّظة من وثبة الكواسر، مذعورة أبدا، صديقتي تخاف الحب ببساطة!

أذكر يوم كنَّا في الصَّف ذات مرَّة، حين لم يكن ثمَّة سبب صريح للبكاء لكنَّها كانت تتعاطاه بطريقة أخافتني، لا زلت لليوم أتذكَّر صورتها و هي في تلك الحال المثيرة للشَّفقة، كأنَّ الكون كلَّه بأحزانه كان متواطئا ضدَّها،ظننتها كانت تحتضر،لا،لا لم تكن لهذه الدَّرجة و لكنَّني أحسست رُوحها تفعل.

سألتها و أنا أتوجسُّ خيفة ما الذي شغلك؛ لم أكن أدرك حِينها أنَّ رفيقتي كانت تبكي حريَّتها المسلوبة في ممارسة الحياة فالمسكينة تعيش تحت سقف يوشك أن يهوي و جدران متهلهلة، بناء أساسه جرف هار يوشك أن يهوي بها في قعر تعاسة سرمدي، تتساءل دائما لم تتزين غرفتها بستائر قشيبة بلون وردي فاتح تحيط بها شرائط السَّاتان، تريد صديقتي لو كانت ستائر النوافذ كما لون قلبها الرمادي القاتم، والدها الدَّائب أبدا بممارسة رُجولته بأنواع السِّباب و الضرب المُنهالة على والدتها صباح مساء، والدها الذي ينهل من ماء شباب والدتها العذب الرَّقراق، يذيقها أشدَّ أنواع العذاب ، يشبع بطنه و يتصيَّد الأخطاء و الزلَّات ربّ بيت و لا كأرباب البيوت قاطبة، يمارس ساديَّته ليقنع نفسه أنَّه مازال ذا بأس و قوَّة، يهدد والدتها بالزواج ثانية كل لحظة؛ هو المنادم للنِّساء أبدا، لوهلة تذكرت قول الأحنف بن قيس عليه من الله شآبيب الرحمات

« جَنِّبُوا مَجَالِسَنَا ذِكْرَ النِّسَاءِ وَالطَّعَامِ ؛ فَإِنِّي أُبْغِضُ الرَّجُلَ أَنْ يَكُونَ وَصَّافًا لِفَرْجِهِ وَبَطْنِهِ ، وَإِنَّ مِنَ الْمُرُوءَةِ وَالدِّيَانَةِ أَنْ يَتْرُكَ الرَّجُلُ الطَّعَامَ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ »، فما الذي يحملهم للتغنِّي بهذه الأغنية أبدا، أبقيَّة مروءة في ذماهم وراء كلِّ هذا!

سألتها: لم لا يحدث الطلاق و تنتهي الحكاية؛ لكنها أجابتني على مضض أنَّ والدتها المسكينة لا تريد أن تحرم ابنتها تحنان الأبوَّة و تضنُّ بها على اليتم ، و لو تخلَّصت هذه المرأة المسكينة الغريرة من ربقة رجل هو في الإنسانية غلطة إنسانيَّة أُخْرِجَت في شكل رجل كهذا لكان هذا خيرا لها و لتلك الفتاة التي أسرَّت لي أنَّها دائما تلهج في سجودها بدعاء تبثه أن يا ليتني ولدت يتيمة الأب!

عجبا لهذه الحياة التي ما ينقضي منها عجب، يتيم يودُّ بجدع الأنف أن ينظر والده و فتاة تضنُّ على نفسها أن تعيش يتما يرتدي ثوب الحياة و لو علم أولئك لقالوا لعلَّ في اليُتم خير !إي نعم لعلَّه خير

و لقد حدَّثتني رفيقتي فيما حدَّثت، أنَّ والدها_أصلحه الله_ عشيَّة بنائه بأمِّها أسماها كُلَّ النِّساء، و هي المسكينة ما رامت غير السَّكينة تتلحَّفها، و جميل الذِّكر بعد الموت إذ احتملته رهقا و لكنَّه أبى إلَّا أن يتركها بلقعا، مسكينات هنَّ النِّساء الودودات لا يردن إلَّا حسن الخلق و دماثته و شهامة الرُّجولة و إباءها مستعففات عن بهرج من الحياة يخلب الألباب، ثمَّ هنَّ الزَّاهدات في المادَّة أبدا يرمن الكلمة الطيِّبة و ما نحى منحاها، يُجلدن بعدُ بسياط في شكل رجل جلف لا يخال الرُّجولة إلا في قهر أنثى.

لحا الله رجالا كهؤلاء صارت عامَّة الدَّهماء مثلهم، عُجنوا بماء الضَّيم و رأوا المرأة عندهم عوانا لكن بغير حق، و لعمري كيف إلى صلاح من سبيل إن بُنيت البيوت على سواعد هؤلاء ممَّن يحرِّفون أخلاقيَّات الرَّحمة و الوداد التي لابدَّ أن ترسو سفينة الحياة عليها عن مواضعها

***

جالسة معها القرفصاء في حديقة الكليَّة أنظر إلى وجهها الورديِّ المتفتِّح في غمرة الألم ،غارقة في تفاصيله المترعة بالوجع، تُسائلني نفسي حينا، من اغتال بسمتك رفيقتي و منع بريق غيل ثغرك الفاتن، متعجِّبة أيَّ قلب يملكه هؤلاء الرِّجال، أجلمود صخر هو، زهرة ناضرة تتفتَّح تُقْتَل من طرف أبيها، ينتهك إنسانيَّتها و نضارة قلبها يا الله ارحم قلوب المفجوعات من النِّساء المكلومات اللائي منحتهن ضعفا فطريًّا لا مفر منه و جعلت في البعض منهن خاصَّة ضعفا آخر ينمُّ عن إحساس عميق رقيق و لكنَّه يا ربِّ قد تأتَّته أياد خشنة أخذته رتقا ثم تركته بددا.

يا الله امسح على قلوبهنَّ و ارزقهنَّ الصَّبر و امسح على قلوبهنَّ كرَّة أخرى يقولون على إثرها ما رأينا من شقاء قط

غريرة في خِدْرِ شقاها، عقدت مع نفسها الصُّلح ذات يوم و هي بَعْدُ مرآة أمِّها أن تأخذ بناصية قلبها لتودعه سردابا أوصدته بإحكام، تترفَّق بذلك به مبرمة مع نفسها العهد أن لن تصيبه بكسر كالذي رأته في خاصَّة والدتها!

...و لله الأمر من قبلُ و من بعد

رمة من كثب !!

محمد خويطي

لَقَد صِرْتُ في حَالٍ مِنَ البُؤْسِ وَالشَّقَا ... أَوَدُّ بِهَا أَن لَا أرَى مَنْ أَوَدُّهُ

رَمَتْنِي بناتُ الدَّهْرِ في دارِ غُرْبَةٍ ... وَدِدْتُ بِهَا مَن في وِدَادِيَ زُهْدُهُ

وَأَوجَعُ مَا يَلقَى الفَتَى مِنْ زمانه ... صديق يُرى مِنْ جُنْدِهِ وَهْوَ ضِدُّهُ

سَتَعْلَم قدرَ المستَخِفِّ بقدْرِهِ ... إذا نابَ عن قربٍ له منك بُعدهُ

يُقَلِّلُ طُولُ الوَصْلِ مِنْ قيمة الفَتَى ... ويُعظِمُهُ عندَ التَّفَرُّقِ فقدُهُ

صَدِيقُكَ سَيْفٌ فِي يَدَيْكَ .. وَرُبَّمَا ... أَصَابَكَ، إِنْ لَمْ تُحْسِنِ، الفِعْلَ حَدُّهُ

وَرُبَّ كَلَامٍ لَا تُرِيدُ به أَذًى ... فَتَحْتَ بِهِ شَرًّا .. فَأَعْيَاكَ سَدُّهُ

إِذَا أَقْصَدَ السَّهْمُ المُسَدَّدُ مَقْتِلِي ... فَلَيْسَ بِعُذْرٍ أنَ غَيْرِيَ قَصْدُهُ

وَمَنْ تَخْتَرِمْ كَفُّ المَنِيَّةِ رُوحَهُ ... فَلَيْسَ بُكَاءُ النَّائِحَاتِ يَرُدُّهُ

بَلَوْتُ وِدَادَ المُدَّعِينَ مَوَدَّتِي ... وقَدْ جَدَّ مِنْ أَمْرِ البليَّةِ جَدُّهُ

فَأَلْفَيْتُهُمْ كَالغَيْمِ ليسَ بهِ حياً ... وَقَدْ صَكَّ آذَانَ البَرِيَّةِ رَعْدُهُ

أَرَاهُمْ عَلَى بُعْدٍ شَراباً، فإنْ دَنَواْ ... رأيتُ سراباً يُعجزُ المرءَ وِرْدُهُ

أرى الصَّحْبَ في سَعْدي كثيرٌعديدُهم ... ولمْ أُلْفِ منهمْ في الشَّقَا مَنْ أَعُدُّهُ

وَشَرُّ صِحَاب المَرْءِ صَاحِبُ حَاجَةٍ ... يُقَرِّبُهُ مِنْ أجْلِهَا وَيَصُدُّهُ

وَمَنْ جفَّ ماءُ الحبِّ بيني وبينَهُ ... فَسِيَّانِ في عَيْنِي الوجودُ وفقدُه

سَأَرْكَبُ يا ابن اللؤمِ نهجَ مُفارِقٍ ... فراقَ يَؤُوسٍ من هَوًى يَسْتَجِدُّهُ

وَلَن أُسْعِفَ القَلْبَ الرقيقَ بِعَوْدِه ... إلى ذِي خِداعٍ ليسَ يُؤمَنْ عَهْدُهُ

إِلَى أَنْ يُرَدَّ السَّهْمُ يَوْماً لِفُوقِهِ ... أو الدَّرُّ في ضَرْعٍ.. وَهَيْهَاتَ رَدُّهُ !

ما الحب ؟

عبد الرحمن برغش

حاولت الإجابة بكلمة واحدة، فلم أجد غير لفظة (العطاء): الحب هو العطاء؛

فإذا كنت طفلا رضيعا، حُرِمَ وجودَ الأم ورعايتها، وحُنُوّها ودِفئها، ثم فتَحتَ عينيك على امرأة غريبةٍ أعطتك ما تعطي الأم مضغتَها وأكثر، وقد اجتمعتا في يومٍ من بعدِ إبصارك، لنفرتَ من والدتك، وهربتَ إلى أحضان تلك المزيفة؛ فقد وهبَتك حبا لم تره من أي بشريّ. ولضنَنْت بفيض تبسمك لها وأعرضت بوجهك عن من حمَلَتك في بطنها وأصابها من ألم الحمل والولادة ما أصابها. فشتّان بين من وهبتك الدماء وخلّتك في الأرض وحيدا، وبين أخرى نشلتك من بين وحوش الأرض وأترعت فؤادك أمنا وإيمانا. فما كان من واجب عطاءها لك إلا رد الجميل والعرفان. وكانت تلك بداية العطاء ...

فإذا كنت طفلا مدرسيا، وسألك أحدهم من هو معلمك المفضل؟ ستكون الإجابة في أفعالك أوضح، هو ذلك الذي تهرول حتى تحصل على المقعد الأمامي في حصته .. هو الذي تزين قراطيسك بنفس لونه المفضل، هو الذي مهما كانت عوائق يومك، لن تبيت ليلتك حتى تتم واجباتك من أجله كي لا تزول نظرة الرضا من عينيه.

فإن صرت شابا يافعا، وقد داهمك العشق بنظرة من إحداهن، فيتبدل حالك، وتضطرب تصرفاتك، فبعد أن كنت طفلا يعلمونه بالنضج المبكر، أصبحت غريبا لا يعرف نفسه فضلا عن جهل الناس له. فينطفئ نور بصرك عن كل ما هو مُدرَكٍ سواها، وتنقطع السبل فلا تجد أقدامك حيلة إلا السعي في مسعاها، فإذا تبسّمَت ظهر لك في الكون شمسان، شمس في السماء تحرق أديمك، وأخرى على الأرض تستعر قلبك وتخطف أنفاسك إن جاورتك في المسير أو القعود. فتهب لها كل أوقاتك، وتصرف جل اهتمامك في تتبعها، ومعرفة أسرارها، والوقوف على ما تحب وما تكره، والتقاط كل ذرة من علمٍ قد تقربها منك ... فإذا كانت مشاكسةً، كان عطاء التضحية بجسدك مشوها من أجل الدفاع عن شرفها، كل هذا كي تحظى بقربها، كي تقسم لك جزءا من عطاء قلبها، ومشهد جمالها. ... فإذا دنَت إليك، ملّكتَهَا روحك، وأصبَحْتَ لرمقتها مُتيما ولهانا، فقد حَبَوْتها عِظَمَ نفسك، وملء روحك، حتى إذا جَفَتك وخلّتك، وطعنتك بالنأي، لن تذهبَ إلا وقد غدا صدرك كثير الثقوب، فقد أخذت كثيرا، ثم ذهبت ولم ترد إليك إلا جزعةً ووخزةَ ألمٍ ستعيش معك أبد الدهر. فلا أجمل من أول حبٍ، ولا أطول منه شقاءًا !

وإن أصبحت شابا مشهودا له برجاحة العقل، ستبحث عن الحب في من قد تموت من أجلك.

وإن غدوت رجلا لبيب الفكر، ستفتقد الحب فيمن قد تحيا من أجلك، فعطاء الموت ساعة، وعطاء الحياة كل ساعة.

فأمّا إن وَقَدَ الشيبُ رأسك، وجدت الحب في ساعدٍ من ذريتك، لا يبخل عليك بعطاء الطاعة والإحسان ...

وإن صرت شيخا، ستتلمس الحب في زقزقة أحفاد يحومون حول قدميك، يذكرونك بمشهد الألعاب في ملاهي الصبا وربيع الشباب، وما الدنيا إلا دائرة من ضعف إلى قوة إلى ضعف.

وإن صرت هَرِماً، فعُزِل عن سمعك أصوات الوجود، ونزل حاجباك على عينيك فأحالا رؤيتك ضبابا، وفقدتَ حليلتك، وذهب عنك الأخلاء والأقربون، واختفت من أمامك كل فروع الحب السامقة ... لن تجد الحب إلا خارج محيط الموجودات، لن تنادي غير من لا تسري عليه قوانين الماديات، فما نفعك بعالمٍ قد خلت منه يداك، فسئِمْتَ لذاته وأسقامه، من لك حينذاك سوى من بالملأ الأعلى ...

في أي مرحلة من المراحل السابقة، قد يتخطى الأشخاص عمر سابقيهم وهم ما زالوا صغارا، وقد يتصابى الكبار بحثا عن شباب مفقود ... أما أنت فلا ترتقب إلا منزلا واحدا قد تلقى فيه كل سعاداتك السابقة مؤبدةً، وقد تراهم على الجانب الآخر يبعثون إليك بالوداع الأخير.

الأحدب

سيد شعبان

جسد لا شبيه له، جئت إلى هذا العالم بعين واحدة؛ تلك إرادة الله، تخيلوا حين راجعت الطبيب في مرة سابقة- ولم أحاول بعد ذلك؛ تخشب جسدي- أخبرني أن العين الثانية مغطاة بنتوء عظمي ومن يومها ولم تعد به حاجة إلى هذه الكتل من لحم وعظم؛ لا تبين لي ملامح محددة، أشبه بكرة يتقاذفها الصبيان في حارة تسكنها أسراب من البعوض، حتى إن نسوة حارتنا السد يتندرن بي، من فاتها قطار الزواج تدعو الله أن يرزقها بعريس حتى ولو كان الأحدب؛ يبدو أن القابلة لم تحسن شدي من رحم أمي، ضحكت لهذا التفسير؛ كنت متخوفا من الخروج إلى مكان ضيق، الآن صرت أكثر ولعا به؛ شارفت رحلتي على الانتهاء، نصف رؤية ونصف حياة؛ لم أتزوج وربما لن يحدث هذا، فمن ترضى بشبه رجل، ظهره محني، فقر مال؛ همه وخريف جسد يتداعى.

لم أنتبه لكل هذا إلا الآن، فكرت في أن أعالج تلك التجاعيد التي تشبه خيوط العنكبوت؛ دهن العطار يعيد للوجه نضارته؛ ومن يقوم انحناء ظهري؟

بل ومن يعيدني شابا؟

لا أمل عندي فقد صرت بلا حلم، يدابر غدي أمسي، فقدت شهيتي إلى الحياة.

أعتاش على أرغفة خبز الرحمة الذي يخرجه ورثة بخلاء على موتاهم؛ أعود لأمي محملا بجوال منها، كنت أبغض هؤلاء؛ لم يهبني أحدهم قطعة لحم.

أضن على من يسخر مني بآيات الرحمة؛ في المقابل كنت أكثر من الترحم على أمثالي؛ على أية حال لن يتقبل الله دعاء من يتسول خبزه.

أتوكأ على عصاي لا غنم لي فأهشها؛ تبقى لي مآرب من تتبع أخبار نساء حارتنا، كنت رسول الغرام بين العشاق؛ لي حيل في ذلك لا يستطيعها غيري.

أخذت أستعيد كتاب عمري صفحة تلو أخرى، بدت لي حياة مملة لا جدوى منها، ذات مرة كنت أدرج في شارع المحطة، حدبتي أشبه بغطاء السلحفاة؛ ربط هؤلاء الصغار حجرا في رقبتي.

آخرون علقوا صورة ليست أكثر حمقا مما أنا عليه، حين استدرت وجدت جمعا منهم يضحك، ابتسمت ومضيت في طريقي؛ لا حيلة لي ولا طاقة بعراك مع أطفال بل ومع رجال فقدوا إنسانيتهم.

غير أن حلما كان جميلا أطل من شرفة عام منسي؛ الأعور يرى بعينه الثانية، جملة أحببتها كثيرا مع مرارتها، نحب من يغير لنا مألوف عاداتنا.

انتظرتها أن تحنو علي، أليس لي قلب وإن كنت بعين واحدة؛ زملائي يسخرون مني؛ الرجل بعين حرباء؛ سامحهم الله؛ وما دخلي في هذا؟نصف عين أفضل بكل تأكيد من عمى كامل: هذا ما تقوله لي أمي المجدرة كما يطلق عليها في حارة البوطة.

عيني تلك تدور كثيرا في وجهي؛ عوض الثانية؛ تصالحت مع جسدي، أختلف كثيرا عنهم، تحملت مواقف لا توصف مرارتها في بضع كلمات، يسخرون من شكلي وحركة عيني بل ومن عرجتي؛ آه نسيت أن أخبركم أن قدمي اليمنى تقصر قليلا عن اليسرى؛ أمشي كالبطة؛ ذلك لقبي الثاني « بطة» بالتأكيد تريدون أن تتعرفوا على بقية ألقابي؛ لن أطيل عليكم؛ الأكتع!

فأنا بيد واحدة؛ تعاكس عيني أبدو شكلا غريبا لجسد أكثر اختلافا عن الآخرين.مضت سنوات ولا بيت لي، مكان جوار مسجد الزاوية أقبع فيه؛ تجاورني القطط والكلاب؛ بعض الطيبين يرسل إلي بحساء أو ما بلي من ثيابهم، ثوب أنثى أجعله في الداخل، جورب عجوز؛ معطف ميت لا وارث له.

الأحدب

قفاي أشبه بمطرحة الفرن، حتى إنني أشعر بأن رأسي تتدلى مخلاة حمار القن السماك الذي يتندر على وقائعه سكان حارة البوطة.

لايختار أحدنا شكله ولا لونه؛ لكن بعض الناس يتحايلون فيغيرون نوعهم، سمعت أن فتى تحول إلى جنس ثالث؛ تلك عجيبة، بالتأكيد أنا لا أصلح لهذا، ستكون صورة غير متخيلة، رغم أن في الروايات مثل هذا؛ أحدب نوتردام أكثرهم شهرة؛ سمعت بقصته من الإذاعة، ومن يومها وتلك الشخصية تلازمني.

أثار ذلك فضول فتاة كانت تسير بالقرب مني؛ ربما شفقة أو ولعا برؤية الجديد، على أية حال ابتسمت لي، عرفتني بنفسها، تسكن في حي لا يمر به الغرباء؛ بيوتهم محاطة بأسوار ذات كلاب حراسة؛ دعتني إلى زيارتهم؛ لتكتمل فصول تلك المسرحية العبثية، خايلني شعور بالزهو أنا مدعو لأكون ضيفا، يبدو أنني أتمتع بموهبة لا نظير لها،

حين اقتربت من بوابة بيتهم الذي تصدح فوقه طيور جميلة ذات ألوان، تشممني كلب غريب، ثم حرك ذيله، علّه لم يجد في ما يثير شهيته؛ ربما زهدا أو سخرية.

تخرج إلى تلك الفتاة؛ يموج عطر مثير، لكنني متبلد، لم أدر أين أنا، تتراقص أنغام موسيقى بيتهوفن، تترقبني عيون من كل مكان، أسمع ضحكات مكتومة.

ثم ماذا بعد؟

حفلة كنت نجمها، لم أشعر بتفاهة جسدي، وجدتها فرصة لأتسول به، وهبوني أطعمة؛ أموالا، معطفا كبيرا، حذاء أشبه بحذاء الجنرال نابليون، التقطوا لي صورة؛ في اليوم التالي وجدتها في صدر صحيفة يومية تعنى بالرغي، صار الجميع يعرفني، تلك الفتاة أنتم لا تتخيلون صارت نجمة إعلانات؛ وأنا بكل تأكيد رفيقها.

تلقي إلي بكلمات تخدر جسدي، أتبعها مربوطا بحبل خفي، صورتي التي كانت موضع تندر صارت الآن باب ثرائي الذي لم أحلم به؛ حساء شهي مخلوط بكسرات خبز، حين استخرجت بطاقة هويتي بعدما تهرأت الورقية كانت أشبه بملف سجين حكم عليه بعقوبة مغلظة، أصر موظف الأحوال المدنية أن يكتفي بلقب شهرتي» الأحدب».

لم أشأ أن أعارضه؛ شكرت له تعطفه علي؛ فمن الحكمة أن يلوك الواحد مسبته مرغما وإلا سيحرم من عبنه المتبقية، ومن يومها تحولت إلى نجم في عالم الأضواء الزاعقة.

مثل الضفدع المغرور

عنتر رمضاني

وقال كليلة:« أما تضرب لنا يا دمنة مثل التفاخر الفارغ، الذي لا يخفي وراءه إلا عُجاجة مليئة بالهراء، وصاحبه الذي حاله كحال الضفدع الذي ينط هنا وهناك ويتخبط، يطارد الوهم يحسبه تاج الفخر، وما هو إلا عرض من الغروروطول. يظن أن له مجدا وتاريخا، وما هو إلا تاريخ من ماء المستنقع».

فقال دمنةوهو يضحك:« ذكرتني يا كليلة، بضفدع كان في قريتنا يلبس نظارات ويحمل محفظة مملوءة بالجراد، ويخبر الناس أنها كتب يتدارسها في الليل، وما نقيقه إلا صوت همته ومطالعته، فيتعجب الحاضرون من همته و ذكائه وفطنته.

وكان يجتمع إليه بعض الضفادع الآخرين، فينفخون في روعه أنه أستاذ الضفادع، وأنه أحاط بعلم الأدب وأخذ منه بأطراف، وقد اجتمع في عقله علم الضفادع الأولين والآخرين، وأن نقيقه ما هو إلا الصوت الأعلى في العلم الأدب. فيميل بطرفه عنهم، ويتجه صوب مستنقعه. في خيلاء وأبهة الضفادع.

فجعل يقول في إحدى الليالي المقمرة وصفحة وجهه تجري على ماء المستنقع، تطؤها بعض الحشرات :» وأما نقيقي، فما هو إلا الصوت الأعلى في الأدب ... حتى نام وهو يرددها.

وفي الغد حضر له جمع غفير من الجراد والحشرات، ليحاضر لهم عن المستنقعات وأثرها في الحياة.

ثم أخرج محفظة الجراد ووضعها إلى جانبه، وبقي يحملق في الجمع أمامه. وما هي إلا هنيهات، حتى أقبلت عليه وفود من الافاعي والثعابين، وما إن رآهم حتى غمره فزغ، جعله ينط هنا وهناك، ثم دار في خلده، كيف أنط هنا وهناك وأنا الصوت الأعلى للأدب، فتوقف ثم قفل عائدا إلى منصة الحشيش التي ضربت له في ذلك المستنقع، وجعل يردد قائلا:» أما إن دم أجدادي من الضفادع يجري في دمي جريا، فاجتمع نقيقهم إلى صوتي حتى علا، وإني هاهنا أمثل تاريخ الضفادع كلها، أفلا أكون ضفدعا شكورا وفيا لمجدنا، ولا أخشى هذه الثعابين.

ثم جرى دم أجداده في عروقه مرة أخرى، فزمجر وغضب وقال قولة ما قالها ضفدع قبله، :» أما إنكم يا معشر الثعابين تغارون من نقيقي، وإن له هزيما كالرعد يزعجكم ويذهب الراحة عنكم، وأنا تاريخ الضفادع كلها، يجتمع هزيم نقيقهم في صوتي، وقبح الله سمومكم، وأخزى جلودكم المزيفة، وإن محاضرتي تقرؤونها في مصنف الحشيش، تكون لكم كتاب غيظ وحنق كلما طالعتم صفحاتها.

فما كان من الثعابين إلا أن رمت ببعض سمها في المستنقع، وغادرت، فأحرق محفظة الجراد، ثم أتى على جمع الحشرات، فغمره معهم، فظل يرفع صوت نقيقه عسى ينقذه تاريخ أجداده، لكن السم وصل إلى حلقومه العفن، فخفت صوته ... وطارت محفظته، وزالت أسطورة الصوت الأعلى للأدب.

فذلك مثل الإنسان الفارغ يصول ويجول بالهراء يحسبه مجدا تليدا، ومقاما رفيعا.

من طرائف الأستاذ: عبد المجيد آيت عبو

نشرتُ صورة لبيت نظمته قديماً وهو:

يا من أراد القصد في المعيشة *** عليك بالبيض مع المطيشة

فطلب مني أحد الإخوة المعلقين توضيح المراد بالشطر الثاني، فكتبت له ممازحاً:
اختلف شراح الديوان في المقصود بمعنى الشطر الثاني واختلفت عباراتهم في ذلك، وعده بعضهم من غامض الشعر، وأقرب ما قيل في ذلك أن المراد بالبيض: بيض الدجاج على المشهور، وهل يدخل فيه بيض النعامة وبيض الحمام والحجل؟
وقع خلاف بين الشراح في ذلك، ووقع إجماعهم على تفضيل البيض البلدي من ذلك على البيض الرومي لما في البلدي من فوائد لا تخفى.. ، أما المطيشة: فذهب أكثر الشراح إلى أنها بلسان أهل المغرب، ويقصدون بها الطماطم، وهو نوع من الخضر معروف، ويسميه أهل الجزائر بالطماطش..
واختلف الشراح أيضا في المقصود بالمصاحبة التي دلت عليها (مع) على قولين مشهورين:
- القول الأول: يفيد اجتماع البيض مع المطيشة في أكلة واحدة، ويتفرع على هذا القول رأيان:
أحدهما: كون اجتماعها على جهة الخلط والمزج بينهما في طابق واحد..
ثانيهما: كون اجتماعهما على جهة فصلهما بأن تطبخ المطيشة وحدها في إناء، ويطبخ البيض مسلوقا أو مقليا في إناء آخر..
- القول الثاني: يفيد الفصل بينهما بأن يكون البيض لوحده في وجبة، والمطيشة لوحدها في وجبة أخرى، فيكونان مجتمعين في أكل اليوم..، وإنما ذهبوا إلى الفصل بينهما لوجوه منها:
أن الجمع بينهما في وجبة واحدة إسراف وتبذير، وكذلك غلاء ثمن البيض وثمن المطيشة.. هذا ملخص ما قيل في معنى هذا الشطر.

أمالي الخاطر

يدبجها أبو المعالي الظاهري

هذه أمالي أملاها الخاطر ، لا تنحصر في فن أو علم ،وإنما تتجه مع السوانح إن سنحت ، وتمطر بما سُحب العقل سحَّت ومنحت .والله المعين

* كان العلاّمة الإبراهيمي- رحمه الله - لشوقي ، كما كان شيخُ المعرّة - رحمه الله - لأبي الطيب المتنبي ، وبيانُ هذا من وجوه :

١- حَبر الجزائر الإبراهيمي ،كان رَاوية لشوقي [بما يُعرف من معنى الراوية زمن الرواية] ، فقد استوعب جميع شعره حفظا ، ووعاه معنى ولفظا ، وإذْ لقيَ أميرَ الشعراء أنشده من شعره ، فطرب له وتهلل ..

وكذاك كان أبو العلاء ، فقد حفظ واستوعب جميع شعر أبي الطيب [فكان له رواية بحق] ..

وكلاهما قد تأتى لهما هذا بالحافظة اللاقطة التي لا يعزب عنها مسموع أو مزبور ! .

٢- يرى الإبراهيمي في شوقي أنه أمير الشعراء قاطبة ، ولا يعدل به أحدا من المتقدمين والمتأخرين ! وكذلك يرى أبو العلاء أنّ أبا الطيب سيّدُ الشعراء في الغابرين والآخرين !.

٣- اعتذر حَبر الجزائر لشوقي ، فيما انتقد عليه ، ودفع عنه مساويه بقصوده الحاملة راية الدفاع عن حمى الإسلام والعربية ، وكذلك صنيعُ أبي العلاء في الدفع عن المتنبي والإعتذار له ، بضروب التأويل التي تحتملها مسالك الشعر والشعراء .

٤- تأثر مفخرة الجزائر بشوقي ،تأثرا ظاهرا خاصة في أسلوب الأراجيز اللزومية ، وشعر الذود عن الإسلام والعروبة وعرض حقائق الديانة ، وكذلك تأثر أبو العلاء بشعر أبي الطيب في ابتكار المعاني والإمعان في الخيال .

٥- لم يمنع إعجابُ الحَبر بأمير الشعراء من تغليطه ونقده نقدات منشورات ، نقدا من حيث الديانة ومن حيث الأدب ، وكذلك كان المعري لأبي الطيب ، لم يمنعه إعجابه

الشديد به من نقد هناته ، ومن هؤلاء نتعلم الإنصاف ..

* من الجوانب الخَفية في عبقرية مفخرة الجزائر الإبراهيمي ، معرفته العميقة بأصول تحقيق كتب التراث وإخراجها ، ومتابعته لما يخرجه أساطين التحقيق في عصره ، ولذلك شواهد في الآثار ..

* من مفاتيح باب البرهان الذي جاء في آية يوسف[..لولا أن رآى برهان ربه ..] = مقالةُ الأديب مصطفى صادق الرافعي في وحي القلم [مقالة سموّ الحب] ..

* لعلماء الجزائر في العصر الحديث قصبُ السبق في الدعوة إلى تعليم البنات، زمنَ كان السائد في البلدان هو العمل بنفثات شيخ المعرة:

علمهـــــون النســـــج والرّ
دنَ وجنبوهـــــن كتابةً وقراءه
فصلاة الفتاة بالحـــــمد وال
إخلاص تجزي عن يونس وبراءه

* لو كان لي حكم في النقد [وليس لي فيه مَكرع] لقضيتُ أنّ أحسن ما قيل في الصراحة والجرأة وترك المواربة والمجاملة في سبيل الحقائق هو قولُ حبر الجزائر :

ولـــي قَلـــــمٌ آليتُ ألّا أمُدّه
بختلِ مُوارٍ أو بختـــــل موارب
جرى سابقًا في الحق ظمآن عائفا
لأمواه دنياه الثِّرارِ الزغـــــارب

* من العلل القادحة في سلامة التفكير ، وهو علّةٌ في فساد الحياة العلمية ، الإخلال بالضوابط العلمية التي تحكم المسائلَ من حيث التصورات ، وتضبط صحة الأدلة والإستدلالات ، وتجعل الأحكام متزنة لا تأتي عليها التهم بالإضطراب والتناقض والإختلاف ..

ولعلّ من أسباب هذا الإخلال :

- الجهل بالفرق بين الضوابط والقواعد ، فالقواعد تحكم النظائر من مختلف الأبواب ، والضوابط تحكم الباب الواحد من أبواب العلم ، لذلك يقل لها الإنتباه ..

- عدم معرفة مضان الضوابط ، وقلة التنبيه عليها لانصراف الهمم إلى التقعيد والتفريع ..

- إفراد القواعد بالتأليف ،وجعلها علما مستقلا قائما على أصوله ، وليس من هذا للضوابط حظ ..

* قد يبلغ بالتكثيف الدلالي العالي أن يكون بيتٌ واحد من الشعر مختصرا لديوان كامل في معناه ، معتصرا لقصائد طوالا قد تقالّ في أصله ومبناه ، ومن أمثلة ذلك ما حصل للشاعر المصري حسن بيلهي يومَ أشيع خبر موته كذبا ، فلما بلغه تعزية بعض أقاربه له في نفسه ! كتب له :

لم تُرحني المنون من نصب العيش ..
كما خبَّروك ..فاندب حياتي ...!!

وهذا والله يعتصر ديوانا كاملا من الأسى والألم والبؤس وكذلك كانت حياته !!

ومثله البيت السيار لأمير الشعراء حيث يقول:

قِف دون رأيك في الحياة مجاهدا
إن الحـــــياة عقيدة وجهادُ

وذا مختصرُ الحياة الجادة ، يعتصر ديوانا من وصف سير العظماء وتجارب من مارس الحياة ومارسته !!

*/أملى الخاطر هذه القصص القصيرة ، [ويختار البروفيسور عبد المالك مرتاض تسميتها ب: التغريدة/الأقصوصة] :

* مرّ عليه وديعا كالحمَل ، فلما أفى عنه عليه عدا وحَمل !

*سقى غيره بكأس المذلّة ، فدارت عليه رحى الزمن بكل كدر وعلّة !

* قرأ كتابا وقصّة ! فأصبح واعظا يرى لنفسه في كل شَجنٍ غُصّة !

* أذهب ماء وجههً بالوقيعة ، فأصبح في الناس كسراب بقيعة !!

* رأيته يتمنى حفظ كتاب الله في شهرين فحفظه !! فما مرّ عليه شهران حتّى لَفَظه!!

*أضاف أعمارا إلى عُمُره القصير ! بتصحيح أخطاء التلاوة لمن حفظها أو لفظها على وجه الخلل والتقصير ..

* لمّا هوى بهواه نجمه ! بدت منه البغضاء وتتابع رجمه !!

فهذه سَبْعُ أرجو أن تكون مُخضرّة غير يابسة .

* يرى حبر الجزائر أن أكمل طرائق تلقين العلم هو الإملاء ، إذْ أنه نِتاج استحكام الملكة واستقلال الفكر وسعة المحفوظ ، ولكن من العجائب أنّ الحَبر كملت عنده هذه الثلاث ، فهو الحافظ من طراز شيخ المعرة وشعبة بن الحجاج ! ومستقل الفكر من طراز ابن حزم وابن تيمية ، ومستحكم الملكة في العلم كأنه الشافعي !! ومع ذلك فإن الإملاء لا يتأتى له ! ولا تجود ملكته، ولا تنثال قريحته إلا إذا وضع سن القلم على القرطاس ! [كما أخبر بذلك عن نفسه] ..

ولكنَّ إمام النهضة ورفيق الروح والدرب ابن باديس ، كانت أماليه مصنفات مستقلة تدل على ما ذُكر وزيادة، وما وصلنا من عدة رسائل عنه إنما كانت إملاء ، مثل مبادئ الأصول ، وإملائه في المصطلح وإملائه في أصول الأدلة وإملائه التفسير في مجالس التذكير ..!!

* الحكم يدور مع علته وجودا وعدما ، قاعدة فقهية ، يندرج تحتها فروع منها :

- صديق المصلحة يذهب بذهابها .
- من أحب لغاية ، ذهب حبه كما ذهب عيد الحب !
- الكتب التي لا نحفظها هي عابر سبيل .
- الكلام الذي لا غاية منه ، ضربٌ للريح بعصا. وعلى هذا فقس .

* يُعتبرُ حَبر الجزائر مُجددا في فنون أدبية درست آثارُها، ودنا إليها دونه إندثارُها ، لولا أن تداركها الله بلطفه ، فجُلل عليها منه دثار ، محفوظٌ في الآثار ..

فهو مجددّ :

- لفنّ الأمالي بما عرف من معناه القديم ، كما هو في رسالة الضب .
- وفن المطارحات الأدبية ،كما هو في رسالته للعلامة عبد العزيز الميمني .
- وفنّ اللزوميات ، فجلّ شعره يجري عليها .
- وفنّ أسجاع الجاهليين ، كما هو في سجع الكهان ..
- وفنّ الأدب الساخر ، الجامع بين علو الأسلوب والسخرية المرة ، كما في رسالة العزيمة ..
- وفنّ الخطابة ، بمعناها في صدر العرب والمسلمين ، فخطبه حماسية تهز المنابر ، وتطرب المحابر ، وتُسخي الشحيح ، وتسلي الذبيح !

* في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يدعو الله إلا أجيب ، وهذا ثابت نصا ، ولكن اختلف الفقهاء في تعيينها اختلافا كثيرا إلى نحو من أربعين قولا !! وتعيينها على وجه اليقين متعذر ، شأنها شأن ليلة القدر التي لا تُعلم على وجه اليقين ! والعلة في ذلك أن يجتهد المسلم فيها جميعا ليدركها ..

فما يقال في ليلة القدر يقال في ساعة الإجابة ، إذ أن من تلبيس إبليس على فئام الناس صرفها عنهم بيقين موهوم ! ومن طرح هذا الظن اجتهد سائر يومه في الدعاء لعله يدرك ..

السراج

هذا السراجُ له نورٌ يُضاءُ به *** لَيْلٌ دجى وبهِ في الناسِ إشـــراقُ

عامٌ تصرّم والأنوارُ باديةٌ ***منـــه عليـــنا وبـــالآدابِ رقـــــراقُ

وجهُ صبيحُ تراءى كي يُطالعنا*** بزقُ بثـــغرِ العُـلا والغيـــثُ أوراقُ